ܐܠܗܐ ܡܬܒܣܪܢܐ

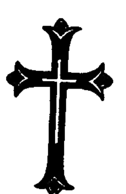
الأله المتجسد

بحسب اعتقاد الكنيسة السريانية الارثوذكسية

بقلم
الأب اسحق ساكا

الطبعة الثانية
١٩٧٠

مطبعة شفيق - بغداد



ܐܠܗܐ ܡܬܒܣܪܢܐ

الآله المتجسد

بحسب اعتقاد الكنيسة السريانية الارثوذكسية

بقلم

الأب اسحق ساكا



الطبعة الثانية
١٩٧٠

مطبعة شفيق - بغداد

نأذن فى طبعه

اغناطيوس يعقوب الثالث

بطريرك انطاكية وسائر المشرق

دمشق فى ٤ تموز ١٩٦٢

مآخذ الكتـاب

المصـادر السريانية

١ ـ ميامر القديس مار افرام السريانى ٣٧٣

٢ ـ ميامر القديس مار اسحق الانطاكى ٤٩١

٣ ـ ميامر ورسائل القديس مار يعقوب السروجى ٥٢١

٤ ـ مقالات لاهوتية فى التثليث والتجسد للقديس فيلكسـينوس المنبجى ٥٢٣

٥ ـ كتاب فيلاليتس للقديس مار سويريوس الانطاكى ٥٣٨

٦ ـ مقالات لاهوتية للقديس مار موسى ابن كيفا ٩٠٣

٧ ـ تفسير الانجيل للعلامة مار ديونيسيوس يعقوب بن صليبى مطران آمد ١١٧١

٨ ـ الكنوز للعلامة مار سويريوس يعقوب البرطـلى مطران دير مار متى واذربيجان ١٢٤١

٩ ـ منارة الاقداس و «الاشعة» للعلامة مار غريغوريوس بن العبرى مفريان المشرق ١٢٨٦

المصادر العربيـة

١ ـ كمال البرهان فى حقيقة الايمان للقديس اثناسيوس الرسولى

٢ ـ المطاليب النظرية للاسقف أيسيدورس السريانى القبطى

٣ ـ علم اللاهوت ج ٣ لميخائيل مينا القبطى الارثوذكسى

٤ ـ تاريخ الكنيسة السريانية ج ٢ لمار سويريوس يعقــوب تــوما (قداسة سيدنا البطريرك)

٥ ـ نزهة الرائد فى الكتاب الخالد لمار سويريوس يعقوب تـــوما (قداسة سيدنا البطريرك)

٦ ـ المشـــعل الوضاء لمار سويريوس يعقـــوب توما (قداســـة سيدنا البطريرك)

٧ ـ حياة يسوع للدكتور برستن ـ ترجمة الاستاذ حبيب سعيد

٨ ـ حسن الشهادة والاداء فى سرى التجسد والفداء ـ للاب زكـى بشير عيواز

٩ ـ الله طرق اعلاناته عن ذاته ل عوض سمعان

١٠ـ مصادر متفرقة اخرى سريانية وعربية ٠

المقدمـة

أخي السرياني :

أضع بين يديك كتيبا ، ضمنته بحثا لاهوتيا صرفا ، استقيته من ينابيع صافية عذبة ، واغترفته من جداول رقراقة طيبة ، اقدمه لـك كأسا مترعة عله يشفى غليلك ويروى ظمأك ، فتنتعش روحيا ٠

البحث اللاهوتى ، بحث لذيذ ممتع وضرورى نافع ، فهو ذلك السلك الروحى الخفى سلك الايمان الذى يربط النفس البشرية بخالقها ويوطد علاقتها معه ٠ وهو للعقل البشرى ضياء ملائكى يقوى بـه الى الاحداق بالاشعة الازلية فتنعكس عليه اضواؤها فيسير فى سـعـبيل النور بعيدا عن ظلمات الكفر والجهل ٠ وبالتالى هو الخمرة المعتقـــة ، عصير القائل « انا الكرمة » يحتسيها الانسان فيسكر بمحبة خالقـه ويذوب فى هواه وينسى من ثم كل شىء فى هذا العالم وحتى نفســه ويتسنى له ولوج السحابة الالهية والانتســـاب الى العالم الروحى ويسجل اسمه فى سفر الحياة ويتسامى من مجد الى مجد ويقول متباهيا « انا لست من هذا العالم » حقا لا شىء فى هذا العالم يعمـــل فى الانسان روح الخشوع ومحبة الله مثل الابحاث اللاهوتية والمواضيـــع العقـــائدية ٠

قد تظهر هذه المواضيع والابحاث بادىء بدء من الصعوبة بمكان من جهة ومن الجفاف من جهـــة اخرى ، ولكن ليس لكل احـــد ، قال الفيلسوف اللاهوتى الفذ العلامة مار غريغوريوس ابن العبرى مفريان المشرق « ان اللذة الناتجة عن معرفة الله فوق كل لذة ، ولكن للذين ذاقوا طعمها، اما الذين لم يتذوقوها فلا يلتذون بحلاوتها ، ولايشعرون بمتعتها مثلهم مثل الاصم الذى لا يتوق الى سماع انغام القيثارة المطربة ولا يشتاق الى التمتع بالالحان الموسيقية العذبة » ٠

ولكن يا اخى مثل التمرن على الانغام فى درجات السلم الموسيقي عاجلا ام آجلا ، تنتظم درجات العقيدة والابحاث اللاهوتية فتكمون لحنا روحيا لذيذا .

فاسمع الآن الى هذا اللحن اللاهوتى الشجى .

زحلة ـ ٢٠ ايار ١٩٦٢ **المؤلف**

البحث الاول

الفصل الاول

غموض سر التجسد

« الخفايا للرب الهنا ، والمعلنات لنا ولبنينا الى الابد » تث ٢٩ــ٢٩

لنقف على عتبة دراستنا لهذا الموضوع الدقيق ، مؤمنين خاشعين ، أيدينا على قلوبنا ، واصابعنا على عيوننا ، خشية ان تبهرنا أنوار العظمة المنبعثة من أشعة النور الكلى ، أو ان يغشى علينا من التطلع الى ذيالك المتسربل بالمجد الازلى . علينا ان تتذكر دائما ان انقياء القلب هم الذين يعاينون الله ، فلندخلنّ بتواضع كثير ولننزعن افعال الخطيه لاننا واقفون امام السر المقدس « السر المكتوم منذ الدهور والاجيال . وقد اعلن الآن لقديسيه الذين اراد الله ان يعلمهم ما هو غنى مجد هذا السر فى الامم . الذى هو المسيح رجاء المجد فيكم » (٢ كو ١ ـ ٢٦ ، ٢٧) ومن هذه الآية الرسولية يتضح لنا عمق هذا السر المكتوم . الذى أعلن اعلانا فقط وظل مكتوما . قال مار فيلكسينوس المنبجى « ظهر السر وانكشف ، ولكنه لم يفسر » .

حقا انه لسر عميق ، لا تسبر اغواره ، ولا تدرك دقائقه واسراره انه حدث جلل خطير ، لا يستوعبه العقل البشرى القاصر ، وهو اسمى

من ان تتناوله المعرفة الانسانية المحدودة المتناهية درسا وتتبعا وهل هنالك حدث اكثر خطورة من اخلاء الله ذاته آخذا صورة عبد ؟ هل هنالك سر اعمق من صيرورة الله انسانا ؟ هل هنالك امر أكثر غموضا وعجبا وحيرة من ان الله يولد من امرأة ؟ امرأة تلد بدون زواج ؟ أله فى حضن الآب ، وفى أحشاء العذراء فى آن واحد ؟ لقد أجاد الرسول بولس اذ سماها أعماق الله (اكو ٢-١٠)

ومما يزيد فى السر عمقا وغموضا ودهشة ، ان له وجهين واحد يتفق مع ابسط انواع الحياة ، حتى ليخيل للمرء كأنه يقرأ قصة قروية عادية ، وآخر محاط بالابهام والغموض ، مكتنف بالكتمان الشديد .

وهذا ما عناه القديس مار افرام السريانى اذ قال « وضعتها (الجوهرة) يا اخوتى على راحة يدى ، ورحت اتأمل بها من جهة واحدة ، فاذ لها وجوه نورانية عديدة من كل جانب ، حقا ان البحث عن الابن لا يدرك انه محاط بالاسرار ، مغلف بالنور » .

ان الكتاب المقدس بعهديه لم يوضح لنا تلك الاعماق ، لقد تأمل به النبى اشعياء بعين الروح واحاط بجميع اطرافه من ولادته من عذراء حتى صعوده الى السماء ، وقد عجز حتى من تسميته ، ولم يهتد الى تعبير يطلقه عليه الا ان دعاه «عجبا» وفى العهد الجديدنسمع الرسول يوحنا الذى رآه بعينيه ، ولمسه بيده يقول « والكلمة صار جسدا » خطا خطوة واحدة وتوقف اذ عجز عن ان يواصل سيره فى هذا الطريق الوعر . أعلن ان الكلمة صار جسدا دون ان يفصح عن

كيفية هذه الصيرورة . ثم تلاه بولس الرسول فيلسوف النصرانية الأكبر واعلن بدوره « عظيم هو سر التقوى الله ظهر بالجسد » وتوقف هو الآخر مقتفيا اثر يوحنا ، اعلن عن ظهوره دون ان يفصح عن كيفية ذلك الظهور دعاه سرا وأنقذ نفسه من ذلك المأزق الحرج . الرسولان يوحنا وبولس يعلنان عن صيرورته جسدا ، وظهوره بالجسد ثم يصمتان صمتا كليا دون شرح وتعليق مقرين بعجزهما ، قال مار فيلكسينوس المنبجى « أنهما لم يعرفا عن الصيرورة والظهور ، ولو عرفا لافصحا عن ذلك » ولا غرابة فأن الرسل لم يتوصلوا الى معرفة امور أقل شأنا وأهمية من سر التجسد ، لقد سمعناهم يسألون سيدهم عن الازمنة والاوقات ومتى ترد الملك الى اسرائيل ، وأرنا الآب وكفانا وغيرها ، الامور التي يتضح لنا منها انهم لم يحيطوا بكنه الاسرار أنما أؤتمنوا عليها ليعلنوها فقط بين الامم والشعوب ، هذا بالنسبة الى الكتاب المقدس ، أما آباء الكنيسة فبنوا على تلك الاسس ، ونكتفى بأيراد ما قاله المنبجي « المسيح انسان الاعجوبة » .

أن معرفة هذا السر ضرورية ولازمة للحصول على الخلود والسعادة ، ولتذوق ثمرة الفداء ، ونعمة الخلاص التى صارت لنا بواسطته ، وبما أن معرفتنا محدودة متناهية ، والسر غير متناه وغير محدود كقول مار أفرام السريانى « أن بعد هذا السر عن المعرفة البشرية ، ليس كبعد السماء عن الارض بمسافة محدودة وأن كانت طويلة ، بل لا حدود له ، ولا يقدر بالمسافات » .

وحيث أن هذا السر أحسان جزيل من الله الى الانسان ، بل أعظم عطية وهبت له منه ولا خلاص له بدونه ، فهو مضطر ان يقبله ويبحث عنه قال الرب « فتشوا الكتب فيها تجدون الخلاص » فقبولنا أياه يتوقف على معرفتنا أياه معرفة صحيحة،وحيث أن معرفتنا محدودة، فما العمل ؟ أن أعرضنا عن البحث أهملنا الخلاص برمته ، وبالتالى كيف ننجو أن أهملنا خلاصا هذا مقداره : الحل لدى القديس مار أفرام السريانى حيث يقول « اريد أن أقترب من السر لاعرف ، ومن جهة أخرى اخاف كي لا ابتعد ، ان الذى يقترب منه باحثا متجاسرا مصيره البعد ، وأما الذى يدنو ليعرف عن طريق الايمان فيسمح له ، فلا تقتربن اذا عن طريق البحث والادراك لئلا تبتعد ، ولا تعرضن أيضا عن البحث نهائيا بل فلتبحثن بحثا محدودا مقرونا بالايمان لئلا نهلك » فلنرتمين اذا في أحضان الايمان عملا بقول مار أفرام مسلمين اليه كل مقاليد تفكيرنا ومعرفتنا ، ولنحذرن كل الحذر من ان نحيد عن ذلك قيد شعرة ، ولنصغ الى نصيحة مار يعقوب السروجي القائلة . «أنت بعملك هذا (البحث) تشبه من يلاحق سرابا ، ويطارد هدفا وهميا بل عدما » لقد بحث آريوس فهوى مبتدعا ، وجاراه نسطور فأنصب عليه غضب الله ، وتواقح مثلهما أو طاخي فألتصقت به لعنة التاريخ،وسار على غرارهم كثيرون فهووا صرعى فى مهاوى الكفر ومزالق الالحاد والخطية والهرطقة . أجل أن البحث يفقد محاسن الفداء ، ويضيع معناه ، ويقلب مفاهيمه رأسا على عقب ، ويشوه جماله،لا بل يزيده صعوبة وتعقيدا. قال مار أسحق الانطاكى « اختار لى بساطة بطرس الصياد ولا فصاحة

برديصان الفيلسوف المهذب ، وأرضى أن يدعونى الناس جاهلا لا يفهم من ان ادعى باحثا متجاسرا » .

فلنتمسك اذا بأهداب الايمان ، عالمين أن الايمان بالذات يعجز عن كشف اسرار التجسد وكل ما يفعله أنه يقود المعرفة الى السر ، ويخضعها للتصديق ، لكونه أقرب اليه من المعرفة ، قال مار فيلكسينوس المنبجى « ان الحق لا يعلن نفسه للمعرفة بل يسلم امره الى الايمان »: قال ايضا « الايمان لسان الله » وقال مار سويريوس الانطاكي « أن السيد المسيح لم يمنح اسراره لتدرك بل ليؤمن بها أيمانا فقط » وقال مار يعقوب السروجى « لنحطمن رأس البحث ، ولنطأن الجدل بأقدام الايمان الجبارة ، فبدونه لا مجال لمعرفة هذا السر » وقال مار أسحق الانطاكى « قادنى الايمان فى طريق سوى وأوصلنى سالما الى ميناء الراحة والاستقرار الروحي » .

وهكذا نتعلم من الكتاب المقدس ، ومن تعاليم الآباء القدامى ومن مجريات التاريخ الكنسى أن الايمان هو الوسيلة الوحيدة لمعرفة هذا السر معرفة صحيحة ، يقودنا فى طريق سوى ، يقينا شر العثرات والانزلاق ، ويجنبنا الآراء الفاسدة والتعاليم الغريبة ويعصمنا من التيه فى قفار الالحاد ومفاوز الكفر ومجاهل الهرطقة .

الفصل الثاني

حقيقة التجسد

«لاننا لم نتبع خرافات مصنعة ، اذا علمنا كم قوة ربنا يسوع المسيح ومجيئه بل كنا معاينين جلاله» ٢ بط ١ ـ ١٦

ان التجسد ليس خرافة مصطنعة،ولا اسطورة ملفقة،انما هو حقيقة واقعية موحى بها من الله ، تسندها الادلة التاريخية المتوافرة،وتعززها الشهادات الكثيرة،وتدعمها البراهين القاطعة ، ودونك الادلة والبراهين والشهادات •

اولا : قد سبق وأنبىء بوقوع هذا الحادث الخطير بوضوح قبل ظهوره بمئات السنين وذلك بواسطة النبوات الكثيرة المعلومة لدى المطلعين على الكتاب المقدس ، وهذه شهادة صحيحة بدليل ١ـ أن تلك النبوات لا تزال موجودة بالتوراة يحتفظ بها اليهود الى وقتنا الحاضر ٢ـ كتبها المع الشخصيات فى التاريخ اليهودى كداود واشعياء ٣ـ أن أقوالهم ليست عامة بل خاصة تدور حول شخص واحد هو اله وانسان فى آن واحد أحاطت بكل ادوار حياته [1] •

---

(١) يعترض اليهود ، لو كان مجىء المسيح حقيقة لتمت فيه كل اقوال الانبياء حرفيا ، والحال انها لم تتم • فلم ترقص الجبال والاكام كالأيل كقول داود ، ولم تخرج المياه الحية فى اورشليم نصفها الى البحر الشرقى ، ونصفها الاخر الى البحر الغربى كقول زكريا ، ولم يسكن الذئب مع الحمل والنمر مع الجدى وما اكل السبع التبن كالعجل ولم يلعب الطفل بالارقم ، ولم يمد الرضيع يده الى جحر الثعبان وغير ذلك ، كقول اشعياء • **الجواب** : ان

ثانيا : شهادة يسوع لنفسه ، امام تلاميذه ، واصدقائه ، ثم امام الشعب كله ، التى تثبتها قداسة سيرته،وطهر حياته،ونبواته ومعجزاته قال « انى وان كنت اشهد لنفسي شهادتى حق لانى اعلم من اين جئت والى اين اذهب » (يو ٨ ـ ١٤) وقال ايضا « واما انا فلى شهادة اعظم من شهادة يوحنا ، لان الاعمال التى اعطى لى الاب ان اتممها هذه الاعمال بعينها التى انا أعملها هي تشهد لى بأن الاب قد ارسلنى » (يو ٥ ـ ٣٦)

ثالثا : شهادة العهد الجديد ، وهذه الشهادة حرية بالتصديق لانها حقيقة موحى بها من الله ، مدعومة بالحق والصدق والعقل والنقل ، قال العلامة ابن العبرى فى كتابه اللاهوتى العجيب المدعو بمنارة الاقداس ما ملخصه « أن للشهادة نوعين أحدهما أن يكون الشهود قد نظروا الحادثة ، والثانى أن يكونوا قد تلقوها عمن شاهدها وثبت كل منهما بشرطين ، الاول أن يكون الشهود كثيرى العدد ومختلفي اللغة والجنس والمكان ، لكي لا يمكنهم ان يتفقوا على الكذب ، والشرط الثانى أن يكون موضوع الشهادة محسوسا لا معقولا ، وبخلاف ذلك لا يقبلها العقل ، مثلا لو اجمع كل سكان الارض وشهدوا على أن هذا العالم محدث والنفس خالدة والله واحد لا يقنع الانسان بذلك

المقصود بهذه الاشياء انما هو روحى بحت ، فالمقصود بالجبال والاكام الملوك والحكماء الذين تلقوا بشارة الانجيل بفرح • وبالمياه الحية تعاليم الانجيل ، وبأورشليم الكنيسة ، وتلك الوحوش الاعداء الذين احنوا رقابهم لنير المسيح الخفيف وتروضوا به وصاروا بمثابة البهائم الداجنة •

ما لم يؤيده البرهان وعلى ضوء هذا التعريف المنطقى للشهادة نقول ان شهادة العهد الجديد مطابقة كل المطابقة لنوعيها وشرطيها ١- فمن النوع الاول ان بطرس الرسول كان شاهد عيان للسيد المسيح ، قال « انا الكاهن والشاهد معهم لآلام المسيح » ١ بط ٥ : ١ وقال ايضا « لاننا لم نتبع خرافات مصنعة أذ اعلمناكم بقوة ربنا يسوع المسيح ومجيئه بل قد كنا معاينين جلاله » ٢ بط ١ - ١٦ ، كما رآه يوحنا الرسول بأم عينه وقال « الذى كان من البدء الذى رأيناه بعيوننا الذى شاهدناه ولمسته ايدينا من جهة كلمة الحياة » ١ يو - ١ ، ومتى الرسول كان احد الاثنى عشر وهكذا قل عن باقي شخصيات الكتاب الذين جلهم عاينوه وحادثوه • ومن النوع الثانى شهادة البشير مرقس الذى كان تلميذا للقديس بطرس الرسول وكتب بأيحاء منه ، وكذلك لوقا البشير الذى عاشر من سمعوا من الرب وقال « اذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة فى الامور المتيقنة عندنا ، كما سلمها الينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداما للكلمة ، رأيت انا أيضا أذ قد تتبعت كل شيء من الاول بتدقيق ان أكتب على التوالى اليك أيها العزيز ثاوفيلس لتعرف صحة الكلام الذى علمت به » لو ١ - ١ و ٤ • ٢- أن شرطى الشهادة المذكورين ينطبقان ايضا على شهادة العهد الجديد ، فالشرط الاول ، ان الرسل كانوا كثيرين ، وكانوا يختلفون فيما بينهم اختلافا عظيما من جهة نشأتهم وعقلياتهم وظروفهم ومراكزهم الادبية والاجتماعية ، فقد كان بينهم الغنى والفقير ، والفيلسوف والامى ، والمثقف والساذج ، الشيخ والشاب ، الطبيب وصياد السمك ، كما

جاءت شهادتهم منطقية مع الشرط الثانى ايضا ، ان شهادة التلاميذ كانت محسوسة تماما ، فلم تبن على الاسراع والارتجال ، بل ولدت في كنفهم من البدء وتغذت بلبان تجاربهم ، وتقوم عودها بوقائع وحقائق معينة وقد عاشوا معه زمنا طويلا ، قرابة الثلاث سنوات ، شاهدوا معجزاته ، سمعوا تعاليمه ، لاحظوا جميع تصرفاته فى جميع نواحي الحياة ، آكلوه ، وشاربوه وبعد بحث وأختبار وتدقيق ايدوا هذه الحقيقة الراهنة •

ومما يعزز شهادة الرسل هذه ، ويسدكل منفذ فى وجه المعترضين الناكرين ان هؤلاء الرسل كانوا من اليهود الذين يؤمنون بوحدانية الله وينزهونه عن المادة والجسم ، فلولا تأكدهم وتلقيهم شهادتهم من الوحي لما أعلنوا التثليث وتجسد الله ولولا تأكدهم من صدقها ايضا لما تركوا كل شيء ونشروا فى العالم هذه الدعوة معرضين انفسهم للاضطهادات القاسية ، أضف الى ذلك كله قداسة سيرتهم ، وتعاليمهم السامية ، ومعجزاتهم الخارقة •

رابعا : من كتابات اليهود والوثنيين اعداء المسيحية فقد دون يوسيفوس المؤرخ اليهودى الشهير الحوادث التاريخية الخاصة باليهود ولا سيما التى تبحث وتدور حول خراب اورشليم وتشتت اليهود عام ٧٠ م وقد اشار فى تاريخه هذا الى يسوع المسيح ومما قاله « حكم بيلاطس على المسيح بالصلب بناء على الحاح رؤساء شعبنا ، والذين احبوا المسيح اولا لم يهجروه ، وها هم باقون الان يدعون مسيحيين نسبة

اليه » هذا وقد أشار التلمود ذاته عرضا الى صلب السيد المسيح ، هذه شهادة اليهود • اما الوثنيون فقد قام بينهم مؤرخون وكتاب كثيرون أمثال تاسينوس ٧٩ م ولوسيان ١٠٠ م وكلسوس الابقورى ١٧٠ م أيدوا هذه الحقيقة بأجلى برهان واوضح دليل لا حاجة الى ذكرها في هذا المختصر •

خامسا : من ممارسة خدمة القداس الالهي ، وحفظ يوم الاحد اذ يشير الاول الى موت السيد المسيح والثاني الى قيامته ، هذا فضلا عن شعائر دينية اخرى لدى جميع المسيحيين على الرغم من الاختلافات في انظمة الطقوس والشروحات للخدمة ، وفي كيفية التجسد ، وهي دليل تأريخي قاطع ، وشهادة ثابتة لا تنقض •

سادسا : وأقوى شاهد واصدق برهان لذلك ، هو تأثير هذا الحدث في التاريخ البشرى عشرين قرنا كاملا ، والتفاف العالم سيما المتمدن منه حول هذا الدين ، الامر الذي يؤيد صحته وحقيقته • هذا اذا استثنينا كتابات المسيحيين منذ القرون الاولى •

الفصل الثالث

معنى التجسد

« الكلمة صار جسدا » يو ١ : ١٤ و « عظيم هو سر التقوى الله ظهر بالجسد » ١ تي ٣ : ١٦

لقد عبر الرسولان العظيمان يوحنا وبولس عن معنى التجسد بقول الاول « الكلمة صار جسدا » وبتصريح الثاني « عظيم هو سر التقوى الله ظهر بالجسد » فعلى ضوء هذين التحديدين يتضح لنا معنى التجسد جليا لا ألتباس فيه بأنه « صيرورة الله انسانا » أو « ظهور الله الكامل » بأتخاذه جسدا حقيقيا وشكلا بشريا ، فنزول الاقنوم الثاني من السماء الى الارض لم يكن سوى فعل أتحاد اللاهوت بالناسوت • فبدأ يظهر الله متجسدا • قال يوحنا ايضا « كل روح تعترف بأن يسوع المسيح جاء بالجسد فهو من الله » ايو ٤ : ١-٣ وقال مار فيلكسينوس المنبجي « منذ الازل وحتى الحلول في احشاء العذراء اله بدون جسد، ومن الحلول والى الابد اله متجسد » وقال يعقوب البرطلي « الخفي ظهر بالجسد ، والغير المنظور ترأى منظورا بشكل انسان » •

لنعود نتأمل بتعابير الكتاب عن هذا المعنى الغامض « صار » «ظهر» و « جاء » افعال مصادرها « صيرورة » و « ظهور » و « مجيء » كل معنى من هذه المعاني الثلاث تنظر الى السر من جهة خاصة • قال أحد الآباء (يوحنا أعلن عن اتحاد اللاهوت بالناسوت بقوله « صار جسدا » وبولس أعلن أن ذلك الاتحاد كان بدون تغيير بقوله « ظهر »

ويوحنا في قوله الثاني « جاء » كشف عن حقيقة التجسد) هـذا من جهة ، ومن جهة أن هذه الافعال والمصادر لا تطلق على الله كما تطلق على المخلوقات ، فالله يشارك المخلوقات بهذه التسميات « لفظا » ويختلف عنها « معنى » بحسب الايضاح التالى •

تطلق التسميات « الصيرورة ، الظهور ، المجيء ، الوجود » على المخلوقات على الاشكال التالية :

١ ـ **بالخلق** : وجود الشيء من العدم ، كظهور العالم الوارد في سفر التكوين •

٢ ـ **بالتمثل** : وجود شيء من شيء يختلفان فى النوعية العرضية ويتساويان فى نوعية الجوهر • نحو انبات العشب من الارض ، وتحول الغذاء الى لحم ودم وشعر فى الانسان •

٣ ـ **بالتحول** : صيرورة شيء من شيء متساويين فى الجوهر كالغيوم التي تحدث من تكاثف الماء •

٤ ـ **بالكيفية** : كصيرورة الانسان ملكا أو كاهنا أو نبيا •

٥ ـ **بالوحدة الشعورية الوجدانية** : كصيرورة افراد كثيرين رأيا واحدا ، وارادة واحدة ، ونفس واحدة كقول الكتاب « وكانوا مجتمعين فى العلية بنفس واحدة »

٦ ـ **بالخوارق** : كصيرورة شيء شيئا آخر خرقا لنظام الطبيعة ويسمي « أعجوبة » كعصا موسى التى اصبحت حية •

هذه بالنسبة الى المخلوقات ، أما بالنسبة الى الله تعالى فهو جلاله ، يتسامى من أن يخضع لهذه المعانى ، بسبب (اولا) ان الشيء فى حالة عدم وجوده يطلق عليه « الغير الموجود » وفى حالة وجوده يطلق عليه «الموجود» ، ان الصفة الاولى «الغير الموجود» فقد فقدها لانتقاله من عدم الوجودية الى الوجود • ومن ثم لا يمكن ان يطلق عليه «موجود وغير موجود » فى آن واحد ، اذ ينشأ من ذلك مبدأ التناقض ، ثم ان ذلك الشيء أما يوجد من العدم ، او من شيء آخر • أما الله تعالى فيختلف عن هذا اختلافا كليا فقبل كل شيء انه منزه عن العدم ، واللاوجودية ، لانه موجود منذ الازل ، وواجب الوجود من ذاته قال الانجيلى « في البدء كان الكلمة ، والكلمة كان عند الله ، وكان الله الكلمة »يو ١ : ١ ، كما انه يطلق عليه فى آن واحد «موجود وغير موجود » أى قبل التجسد موجود بألوهته وغير موجود بناسوته • بعد التجسد وجد بدون أن يفقد وجوده اللاهوتي • (ثانيا) بعض تلك الامور صارت بالاخذ دون الاتحاد ، وبعضها اتحدت اتحادا وجدانيا قابلا للتفكك ، ومنها ما حدث عن طريق الاعجوبة • غير ان الله تعالى يخالف كل ذلك ، اذ اخذ جسدا واتحد به ولم يتغير • وجاء اتحاده اتحادا اقنوميا طبيعيا ، كما جاء حقيقيا دائميا به لا خياليا وقتيا كعصا موسى مثلا التي صارت حية ، شكلا ، وظاهرا ، لا طبيعية وحقيقية بدليل انها ظهرت حية لفرعون والسحرة عن طريق الاعجوبة ، وأما لموسى فكانت تظهر عصا طبيعية ، وهكذا قل عن نهر ماء النيل الذى تغير الى دم بعين المصريين ، ولكنه كان ماء طبيعيا بنظر الاسرائيليين كما

يشهد الطرفان ، فالاسرائيليون كانوا يشربونه ماء طبيعيا ، والمصريون لم يقدروا أن يشربوه لانه تغير الى دم •

اذا كيف نفهم صيرورة الله انسانا ؟ ما معنى ظهر الله بالجسد ، ياله من سر غامض ! حدث عجيب تم فعلا ، لا نستطيع الا ان نقول ان الله تعالى كان موجودا بالوهته ، أزليا ، فلما جاء ملء الزمان اخلى ذاته بارادته الشخصية أى ان العمل صادر عنه لا عن غيره ، فصار جسدا وظهر انسانا طبيعيا دون ان يفقد الوهته لسبب هذه الصيرورة ، أو من جراء ذلك الظهور ، او بحكم ذياك المجيء ، لانه لم يتجسد لاجل ذاته حتى يفقد خاصته الاولى ، ويحصل على الخاصية الثانية، ولم يكن بحاجة الى صيرورته انسانا ، او ظهوره متجسدا ، وبنفس الوقت لم يكن محتاجا الى عدم صيرورته انسانا وظهوره متجسدا ، فهو كامل لا يطرأ عليه نقص • او بعبارة أخرى كما اوضح مار فيلكسينوس المنبجى (ان صيرورة الله انسانا تعنى ١ـ وجد بالجسد وهو ما يزال موجودا بالوهته ٢ـ وجد ولم يتغير ٣ـ وجد من اجلنا لامن اجل نفسه ٤ـ وجد من تلقاء نفسه لا من مصدر آخر • والمقدرة على الوجود من تلقاء نفسه دلالة على سلطته الكاملة اللامتناهية • فقوته الالهية لم تقف عند ايجادها المخلوقات من العدم فحسب ، بل باخلاء ذاته بارادته وصيرورته انسانا •. ومهما حاول الانسان أن يدرك فهو عاجز عن ذلك كما علمنا ، يكفينا أن نؤمن مع يوحنا بأن «الكلمة صار جسدا» ومع الرسول بولس بأن «الله ظهر بالجسد» ونصمت اقتداء بهما • ونقول مع المنبجى «كما انه موجود دون ان يكون له موجد ، هكذا صار » •

الفصل الرابع

امكانيـــة التجسد

« **الغير المستطاع عند الناس ، مستطاع عند الله** » **لو ١٨ : ٢٨**

يتلقى العقل البشرى عقيدة التجسد الالهى ، أى اتحاد اللاهوت بالناسوت • بصعوبة كبرى ، وبشك بالغ • ويأبى التسليم بذلك ، فى عرفه أن ذلك وصمة لله ، لايتناسب وصفاته تعـالى ، بـل ويحط من كرامته ، ويقلل من شأنه • ويحد من سموه • غير أن هذه الفـــكرة مستمدة من آراء خاطئة عن الله والانسان • اذ يحط من قيمـــة الله ، ويجرده من اعظم عمل ، واعجب حدث قام به •

لقد أجمع اللاهوتيون والمفسرون ، وعلماء الكتاب المقدس على أن التجسد الالهى جاء متناسبا وصفات الله تعالى ، اذ لم يغير فيه شيئا ابدا، مؤيدين قولهم بما يلى :

اولا ــ أن ثمة علاقة قوية بين الله والانسان اوضحها الله عنـدما خلق الانسان « فخلق الله الانسان على صورته ، على صورة الله خلقه ، ذكرا وانثى خلقهم» تك ١ : ٢٧ • اجل خلق الله الانسان على صورته ولم يستنكف ، لابل عمل ذلك برغبته ورضاه وملء سروره ، وبنفس الطريقة تجسد راغبا راضيا مسرورا •

ثانيا ــ اورد العلامة ابن العبرى فى موسوعته اللاهوتية المدعوة بـ «منارة الاقداس» فى الركن الرابع منها جملة براهين تؤيد صحة ما نحن بصدده ومن جملة تلك البراهين (النفس البشرية ، بما انها قائمة

بذاتها ، ومجردة ، وعارفة ذاتها ، ومعروفة من ذاتها فانها تقتني دالـة « نسبيا » ما في طبعها مع الكيان الالهى ، والشيء المناسب غيره يناسبه بالكمال ويلازمه وذلك ممكن : لان الطبائع العمومية لاتظهر الى الفعل ما لم تتشكل اشخاصها فما يناسب الاقانيم الثلاثة المقدسة لفرد من الانفس العاقلة ممكن ان يقترن بها اقترانا طبيعيا ويتشكل بها وهو الذى يدعى اتحادا ، وبواسطة اتحاده بتلك النفس العاقلة يشارك جسدها أيضا بنعمته لكى يعم الاتحاد الانسان الكامل كما قال احد الحكماء البيعيين «ان الله اتحد بالجسد بواسطة النفس») كما أورد براهين أخرى خلاصتها (ان التجسد يعتبر بالنسبة الى الله أمرا ممكنا لا مستحيلا ، ونعمة جزيلة فائضة ، وتناسبا لذاته وصفاته لا تناقضا) .

ثالثا — أن فكرة التجسد ، كما سنبين ، هى من وضع قديم ، فقد اشير اليها بالذبائح ولمحت عنها الاعلانات والظهورات ، وتنبأ عن وقوعها الانبياء .

رابعا — شهادة الآباء ، والعلماء . قال مار سويريوس الانطاكى « ان تجسد ابن الله أمر ممكن قرره العهد القديم ، ورأى موسى ظلاله فى العليقة التى كانت تتوقد بالنار وهي لا تحترق » وقال العلامة ترتليانس سائلا نفسه ومجيبا اياها « هل التجسد غير لائق بكمال الله ؟ الجواب طبعا لا ، بل هو لائق بكماله كل اللياقة ، لان من مستلزمات هذا الكمال العطف على الناس وانقاذهم من خطاياهم ، وتقريبهم الى

الله ، لكى يعرفوه ، ويفيدوا منه» والتجسد هو الوسيلة الوحيدة لتحقيق هذه الاغراض . قال العلامة انسلمس رئيس اساقفة كنتربرى في كتابه لماذا تجسد الكلمة « ان الله قادر أن يصنع الانسان على أربعة أنواع: أما من رجل وامرأة كما هو الشأن الجارى ، أو من غير رجل ولا امرأة كما صنع آدم ، أو من رجل بلا امرأة كما صنع حواء ، أو من امرأة بغير رجل الذى لم يكن قد صنعه الى حين تجسد المسيح »

وكفى بهذه البراهين دليلا .

الفصل الخامس

ضرورة التجسد وغاياته

« لان ما لم يستطعه الناموس ، وضعف عنه بسبب الجسد فقد انجزه الله اذ ارسل ابنه فى شبه جسد خطيئة ، وقضى على الخطيئة فى الجسد من اجل الخطيئة » رو : ٨ – ٣

انّ الله تعالى لم يبغ من وراء تجسده ، اظهار عظمته ، ولا توخى أعلان مجده أو هدف الى اثارة اعجاب الناس به ، أو جاء لاكمال حاجة اعوزته ، الامور التى تعتبر نقصا لا يمكن نسبتها الى الله الكامل سيما وان طريقة ظهوره بصورة عبد بسيط لا تتفق والحصول على تلك الاغراض والمقاصد •

لا نستطيع أن نرى سببا للتجسد الا ما قاله آباء المجمع النيقاوى المقدس «نزل من السماء وتجسد من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا» يخبرنا سفر التكوين ، بان الله تعالى خلق الانسان على صورته ومثاله بارا مستقيما ، مزينا بالعقل والارادة والحرية ، وخوله السيادة والسيطرة على جميع المخلوقات ، وأسكنه فى جنة عدن التى خلقها خصيصا له ، واتحد به برباط روحى كما صرح بلسان اشعياء النبى قائلا «بعلك هو صانعك» اش ٥٤ : ٥ • ثم اوصاه قائلا «من جميع أشجار الجنة تأكل اكلا • واما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها لانك يوم تأكل منها موتا تموت» تك ٢ : ١٧ غير ان آدم استبدل مشيئة الله بمشيئة ابليس ، فسقط ووقع ، وبسقوطه هذا اضاع كل

حقوقه وامتيازاته ، فقد خسر الامتياز الروحى بالله ومعرفة ذاته ومقاصده معرفة صحيحة ، وفسخ ذلك الرباط المقدس ، وعقده مع ابليس ، وبات عبدا للخطيئة والموت والشيطان بعد ان كان سيدا حاكما ، وتعرى من المجد الالهى الاثيل ، واكتسى بثوب من جلود حيوانية مائتة • واعتراه الخجل والخوف ، ولعنت الارض بسببه ، وطرد من الجنة الى أرض الشقاء والاتعاب ، وبالاضافة الى ذلك اضحى مجرما فى حق الله مستوجبا حكم الموت الصادر عن الله «موتا تموت» •

فاقتضى الامر من ثم ، أن تنازل ابن الله من السماء ليكون وسيطا بين الله والانسان الساقط • صار انسانا ، وخضع للناموس ، واعلن على الشيطان رئيس مملكة الظلمة حربا ضروسا انتهت بانتصار المسيح واندحار الشيطان• بعد أن كلفته اهراق دمه الثمين فوق ذروة الصليب ، ومن ثم افلت آدم من قبضة الشيطان وتحرر من الخطيئة والموت وغدا حرا طليقا ، وعرّفه الله بذاته ، وسن له شريعة جديدة ، ضمنها مشيئته السماوية ، ومقاصده الالهية ، واعاد الرباط المقدس بين الله والانسان من جديد ، وارجعه الى كرامته الاولى ، وبيته الاصيل معززا مكرما •

والآن نواجه بالسؤالين التاليين :

اولا : لماذا لم يرسل الله نبياً او رسولا لقضاء هذه المهمة ؟

الجواب : وجب لمن يقوم باداء هذه المهمة ان تتوافر فيه الشروط الثلاثة التالية :

١ – ان يكون لابسا الطبيعة التى انحدرت فى آدم • أى جسد آدم قبل الخطيئة او ما يسمى «شبه جسد الخطيئة» ، خاليا من الخطيئة ومن الميل اليها • ٢– بما ان الخطيئة كانت موجهة الى الله غير المتناهى لذا الخطيئة كانت غير متناهية فتوجب أن يكون الوسيط غير متناه أى مساويا لله • ٣– ان يكون القيام بهذه المهمة اختياريا ، وحيث لا يوجد فى الخليقة لا من الملائكة ولا من البشر من تنطبق عليه هذه الشروط الثلاثة ، لان البشر جميعهم خطاة ، اذ شملتهم خطيئة آدم كقول الرسول بولس « من أجل ذلك كما انها بانسان واحد دخلت الخطيئة الى العالم وبالخطيئة الموت ، وهكذا اجتاز الموت الى جميع الناس بالذى جميعهم خطئوا فيه » رو ٥ : ١٢ و ١٣ ولان كل شيء فيه حياة كان عليه أن يعمل « ثمرا كجنسه » وبما أن نفس الانسان الاول كانت مائتة بالخطيئة،فمن الطبيعي أن يلد نسلا ميتا مثله، لان كل حي يلد حيا من نوعه • القطة لا تلد كلبا ، ولا الكلبة قطة ولا يستطيع الجماد ان يلد شيئا حيا وهذا الناموس نافذ المفعول الى يومنا هذا كما ان الملائكة أيضا متناهون بافعالهم وبطبيعتهم وبمعرفتهم ، لذلك لم يكن بامكان الخليقة أن تكفر عن الخطيئة اللامتناهية ، ولم يكونوا أكفاء أن يتلقوا أقوال الله ويعلنوا عن ارادته ومقاصده لكونهم أدوات ناقصة سيما وان البشر لم تشبع نفوسهم مجرد معرفة افكار الله ومقاصده فقط ، بل كانوا بحاجة ان يتصلوا به شخصيا • وقد جرب الله هذه الطريقة اذ تفقدهم طورا بالملائكة وطورا بالانبياء ولما لم يقدروا ان يكونوا وسطاء اكفاء،قرر الله ان يحل هذه المشكلة ، ذلك ان الله الاقنوم

الثانى من الثالوث الاقدس ، المنزه عن الخطيئة ، وغير المتناهي ، والذى هو مع أبيه ارادة واحدة ، شاء أن يكون وسيطا بين الوهته وناسوتنا • لكى بهذه الواسطة يتم السلام والاتحاد بين السماء والارض وتسود المحبة ويتحطم سياج العداوة • ويرجع الانسان الى كرامته الاولى وبيته الاصيل • قال الرسول بولس «الله بعدما كلم الآباء بالانبياء قديما بأنواع وطرق كثيرة ، كلمنا في هذه الايام الاخيرة فى ابنه الذى جعله وارثا لكل شيء الذى به أيضا عمل العالمين» عب ١ : ١ و ٢ وقال ايضا « لانه يوجد آله واحد ووسيط واحد بين الله والناس الانسان يسوع المسيح » انى ٢ : ٥ • ورد فى سفر التكوين أن حجرا كبيرا كان موضوعا على فم بئر فى حقل بنواحى حران ، لم يكن باستطاعة الرعاة ان يدحرجوه منفردين عن فم البئر ويسقوا قطعانهم ، ما لم يتساعدوا معا على ذلك • غير ان يعقوب أبا الاسباط دحرجه لوحده « تك ٢٩ : ١ و ١١ » قال الملفان القديس مار يعقوب السروجي فى تفسيره ، أن ذلك الحجر الكبير كان رمزا الى خطيئة البشر الكبيرة الثقيلة وان الرعاة كانوا يشيرون الى الانبياء والكهنة أما يعقوب فكان رمزا الى السيد المسيح فكما أن الرعاة لم يكن باستطاعتهم دحرجة ذلك الحجر منفردين كذلك لم يكن باستطاعة أى من الانبياء والاباء والكهنة التكفير عن الخطيئة وكما أن يعقوب الذى جاء مؤخرا تمكن من ازاحته ودحرجته لوحده هكذا السيد المسيح تمكن لوحده من التكفير عن الخطيئة وقال عالم آخر « انك قد تتعلم من الفنان شيئا بدراسة صوره ولوحاته ، وقد تتعلم اكثر من اصدقائه وعارفيه والمقربين اليه ولكن ما لم تلتق بالفنان

نفسه تبقى على جهل من أمره ، كذلك ما لم يأت الله ذاته ، فان الانسان لا يعرف شيئا عنه الا القليل عن طريق هؤلاء » •

ثانيا ـ السؤال الثاني : سلمنا بأن الله وحده هو الكافي لهذه الوساطة ، ولكن لماذا جاء عن طريق التجسد لا عن غيره ؟

بالنسبة الينا نحن المؤمنين نكتفي بما قاله الرسول بولس « حكمة الله بسر » وحكمة الله تفوق كل فهم وعقل وادراك ، غير أننا جوابا على اسئلة المعترضين نقول •

١ ـ وجدت هنالك مشكلة عويصة هي كيفية خلاص الانسان من الخطيئة والموت والشيطان واعادة حقوقه وامتيازاته اليه فأراد الله القادر على كل شيء حلها ، انه والا شك قدوس لا يستطيع أن يتجاهل الخطيئة، ويتساهل معها ويعتبرها كأنها غير موجودة ، كما انه عادل أيضا بأحكامه وشريعته وغير متغير ، وعدله الالهى يقضى بأن النفس التى اخطأت هي تموت تك ٢ : ١٧ فكان يقتضى ان يعاقب آدم الذى خالف الشريعة وأخطأ ، ولكنه في الوقت نفسه اله محب للبشر صفوح بهم ، رحوم ، لا يرد ان يهلكهم عقابا لجريمة آدم ، فأى الامرين يفعل ياترى ؟ ان عقاب آدم هو اجراء العدل وحده فقط ، ودوس لحقوق المحبة والرحمة وبالعكس فان تبريره بدون عقاب وكفارة غمط لحقوق العدل ، والقداسة ، ولا يمكن مخالفة احد هذين الامرين لان فى المخالفة نقصا ، والخالق منزه عن النقص بالبداهة ، فكيف اذاً يحل الله هذه المشكلة ، وكيف يوفق ما بين القداسة والعدل من جهة وبين المحبة والرحمة من جهة اخرى ، لقد وجدت حكمته وسيلة واحدة لاغير

وهى «ان يموت الله مصلوبا» لان بدون سفك دم لا تحصل مغفرة • يحمل الخطيئة ويحمل العقاب ، الذى استحقه آدم • وهذا ما عناه الرسول بولس بقوله ، «صار لعنة» غل ١٣:٣ أى صار قابلا للالام والصلب والموت ، وبما ان الطبيعة الالهية التى قررت ان تموت ، لاتقع تحت الآلام والصلب والموت ، ولا تقبل شيئا من هذا القبيل لذا ، صار الكلمة جسدا ، وبهذا الشكل يمكن ان يصير لعنة ، فتسنى من ثم للرسول بولس ان يقول «صار لعنة» بعد ان قال يوحنا «صار جسدا» فلولا التجسد لما انحل المشكل ، والمشكل كان يجب ان يحل ، لذلك جاء التجسد حلا لهذا المشكل كقول الرسول بولس « فاذا قد تشارك الاولاد في اللحم والدم اشترك هو ايضا لكى يبيد الموت» عب ١٤:٢و١٦ •

٢ ـ كان فى اعماق البشر قبل ظهور المسيح على اختلاف اديانهم، وافكارهم واوضاعهم وطبقاتهم رغبة ملحة تسوقهم الى ان يتلمسوا الله ويطلبوه علهم يجدونه فقد استنتجت الشعوب المتمدنة المثقفة فيهم كالاغريق ، عن طريق الفلسفة والتفكير ومن مظاهر الطبيعة ، الهاً خالقاً ولكنهم لم يستطيعوا أن يدركوا عنه سوى وجوده وعظمته فقط • لذلك تراهم يستسلمون للحدس والظنون فى تعيينه بقدر ما توحى اليهم فلسفتهم وفكرهم ، فعبدوا المشترى والزهرة وعشتاروت ، وآخر ما توصلوا اليه كان الاله المجهول •

وأما الشعوب الجاهلة المتأخرة ، فاعترفت بوجود الله من شهادة الضمير ولكنها لم تستطع أن تدرك شيئا عنه ، لذلك عبدت حتى أحقر الحيوانات •

ذاك كان شأن العالم الوثنى ، أما اليهود الذين كانت عقيدتهم عبادة الاله الواحد فقد تركوا الله مرات عديدة وعبدوا الاصنام ، وهذا ما عناه ارميا النبي بالشرين ار ٢:٨ الشر الاول تركوا يهوه العظيم ، والشر الثانى اهانوه واعطوا كرامته لآخر ، وقد عنى بالآخر الهة الوثنين واصنامهم التى مالوا اليها وعبدوها حتى اصبحت آلهتهم بقدر مدن يهوذا كقول النبي نفسه الذى دعاهم ايضا «بوالدة السبعة» ار ٩:١٥ أى تلك الامة التى صاغت لها سبعة وجوه هي العجل فى البرية ، والعجلان اللذان أقامهما يربعام فى دان وبيت أيل ، والتمثال ذو الاربعة وجوه الذى صنعه منسى، وخصص وادى هيتوم للسجود والعبادة ار ١٩:١-٢٠ وقد ذكر حزقيال النبى اسماء بعض تلك الاصنام التي سماها رجاسات وهى تموز والشمس ، ودبابات ، وحيوان نجس التى كانوا يبخرون لها ساجدين حز ٨ : ٧-١١ وفى الوقت ذاته كانوا ينتظرون «المشيحا» الموعود به • بالاضافة الى شوق العالم اليهودى والوثنى الى معرفة الاله الحقيقى ، فقد كانت فى نفوسهم ايضا اشواق الى الخير والفضيلة وأصلاح اوضاعهم الاجتماعية ، وفهم الامور المستعصية كالنفس والملائكة وأصل الشر والقيامة ، والدينونة الخ ، وقد انقسموا الى شيع وفرق ذهبت فى ذلك مذاهب شتى • فالوثنيون كانوا يتخبطون خبط عشواء فى ظلمات الحكمة البشرية ، والفلسفة العالمية ، فلم تستطع حكمة اليونان ، ولا شرع الرومان سن شريعة نافعة تقى المجتمع من الفساد الخلقى والانحلال الروحى ثم تمادوا فى الفساد والشرور ، وقد وصف الرسول بولس حالتهم هذه فى الاصحاح الاول من رسالته الى

رومية ، ولما رآهم الله في هذه الحالة شاءت حكمته الغامضة تسليمهم الى هوان ذواتهم •

اما اليهود فلم يكونوا اقل شأنا من الوثنيين ، وكان الفساد عينه متفشيا بينهم ، بل لم يكن بينهم وبين الوثنيين الا فارق واحد يذكره بولس الرسول فى الاصحاح الثانى من رسالته الى أهل رومية قائلا: « انهم استؤمنوا على اقوال الله » اى كان لهم الناموس الموسوى ، غير أن هذا الناموس عجز عن تقويمهم واصلاحهم كما يقول الرسول نفسه • وكان ناموسا قاسيا كما قال الرب « ان موسى لاجل قساوة قلوبكم اعطى لكم الناموس » ثم اضحى باطلا جامدا لم يبق فيه حيوة ، كما قال حبقوق النبى بأنه جمد وبطل ولم يعد صالحا حب١ • وقال فيه هوشع النبى « انهم يتعثرون فى النهار » أى مع وجود الناموس كانوا يقترفون انواع الخطايا وضروب الشرور وكما اسلم الله الوثنيين لاهانة ذواتهم ، كذلك عامل اليهود بنفس الطريقة كما قال حزقيال « واعطيتهم ايضا فرائض غير صالحة واحكاما لا يحيون بها » حز ٢٠ : ٣٦ •

وهكذا ترى العالم الوثنى واليهودى بعيدا عن معرفة الله ، عاجزا عن سن شريعة تحفظ له كرامته وتصلح فساده ، وتقوده الى الصلاح •

أجل أن الطبيعة البشرية ، لها عقل وفكر ، وتحس بقوى من الذكاء عجيبة ، ومع ذلك فانها قاصرة ، عن ادراك الامور كهذه ، قد تمتد خيالاتها وتصوراتها وافكارها الى آفاق بعيدة ولكنها لا تلقى

أهدافها ابدا ، وليس باستطاعتها ان تزيح بيديها الحجب التى تخفى عنهـا الله •

لذلك نرى الجميع يرقبون ظهور « كائن » يعلن لهم عن الله وصفاته ، ويأتيهم بالخبر اليقين عن العالم الروحي واسراره ومحتوياته، ويسن لهم شريعة جديدة تقيهم من الزلل والسقوط ذلك الكائن كـان « مشتهى الامم والشعوب » •

ان العالم كان بحاجة الى ظهور الاله ذاته بهيئة واضحة ، يراه بعينه ، ويسمعه باذنه ، ويلمسه بيده ، فبدون هذه الطريقة لم يكـن بامكانه الاتصال به لبلوغ غاياتهالمنشودة لان الانسان لا يمكنه الاتصال الا بانسان نظيره ، اى مساو لمساو • وشبيه لشبيه • واذا كان الانسان لا يستطيع ان يدرك ذلك فما العمل ؟ قال مار افرام السرياني « ان حاجزا كبيرا ، وفاصلا عظيما ، لا حد له كان بين الله والانســان ، وكان من المستحيل على الانسان ان يجاوز ذلك الحاجز » •

يا لخيبة الانسان لو ان الله كان من جانبه غير مكترث ، لا يطلبه ولا يفكر به • ولكن الله احبه وفكر به ، ودبر له طريقة لحـل هذا المشكل ، وهذه الطريقة كانت «التجسد» أى ان يظهر الله انسـانا قال مار افرام « ان اقرب مسافة بين الله والانسان كانت التجسد ، ذلك لما رأى سبحانه وتعالى ان جميع البشر يسجدون للمخلـوقات دون الخالق لبس جسدا مخلوقا كي يصطادهم بهذه الطريقة » •

وهكذا تجسد ابن الله وعاش بين البشر ثلاثة وثلاثين عاما ، وفي خلال السنوات الثلاثة الاخيرة من حياته على الارض عرّف البشرية

بأنه هو الاله الحقيقي وحده « وهذه هى الحياة الابدية ، ان يعرفوك انت هو الاله الحقيقي وحدك ، والذى ارسلته يسوع المسيح » وقال أيضا « من رآنى فقد رأى الآب » ثم اظهر لهم عن صفاته ومقاصده لذلك قال الرسول بولس « الذى هو بهاء مجده ورسم جـوهره » عب ١ : ٣ ، كما كلمهم فما لفـم قائلا « تعالوا الى يا جميع المتعبين والثقيلى الاحمال وانا اريحكم » وسن لهم شريعة جديدة هيشريعة العهد الجديد • قال القديس غريغوريوس النزينزى فى القرن الرابع « ان الذى لا جسد له قد ظهر بالجسد لكى نراه ونعرفه وتكون لنـا علاقة حقيقية معه » •

٣ ـ ان الله خلق الانسان على صورته ومثاله ، واتحد معه برباط مقدس كقول اشعياء « صانعك هو بعلك » غير ان الخطيئة كانت سببا بفسخ ذلك الرباط ، وهدم ذلك الاتحاد ، واصبحت فاصلة بينها وبين الله كقـول حزقيال ، وان الله من أجل محبته الكثيرة للبشر اراد أن يعيـد ذلـك الاتحاد والرباط مع الانسان من جديد ، اراد أن يخلط نفسه بنا ثانية ، وهذا يستوجب اوجه الشبه بيننا وبينه ، ولا يوجد أى وجه للشبـه عدا ان يتجسد مثلنا عدا الخطيئة •

وهكذا دبرت حكمة الله وسيلة ملائمة لذلك وهى « التجسد » حتى يتسنى له ان يرفع طبيعة الانسان الى رتبة الهية باتحاده معها ، لان فعلها يكون صادرا عن مساو لمساو •

كانت الغاية من التجسد ان يتحد الله بالانسان ، وهذه الغايـة الشريفة تتجلى فى نبوة اشعياء « تدعو اسمه عمانوئيل » والتي فسـرها

الملاك بمعنى « الله معنا » كما ذكر متى الانجيلي وكذلك اعلن لنا المسيح في تعاليمه عن فكرة الاتحاد مرات كثيرة وذلك عن طريق الامثال خاصة ، بقوله « انا الكرمة الحقيقية وانتم الاغصان » كما أوضحها في صلاته الى الآب قائلا « اثبتوا في وانا فيكم » « ليكون الجميع واحدا كما انك أنت ايها الآب في وانا فيك ليكونوا هم ايضا واحدا فينا ليؤمن العالم بأنك ارسلتني » (يو ١٧ : ٢١)

ان فكرة اتحاد الانسان بالله هي « فلسفة المسيحية » بل دعامة حياة المؤمن الروحية ، كيف لا وهي من أقوى شروط الدين المسيحي• ان تنظيم العلاقات بين الانسان والله لا يتم بفهم التعاليم ودراستها • ولا بمعرفة الله وصفاته معرفة مجردة ، لكن بالاتحاد فقط ، لان المسيحية ليست نظرية علمية فلسفية ، ولا قضية اكاديمية يدرسها المرء ويستوعبها ، كما انها ليست مجرد شرائع اخلاقية وحسب كقولك مثلا ، ليس من المسيحية ان تكذب ولا أن تسرق ، ذلك ان عدم الكذب والسرقة لا يجعل الانسان مسيحيا انما هو من خواص الدين المسيحي والخلاصة ان المسيحية ليست علما ولا شريعة فقط بل حياة يجب ان نحياها • وهذا ما عناه الرسول بولس بقوله « مع المسيح صلبت لا حيا لا انا بل المسيح يحيا في »

هذه هي أذن غايات التجسد الالهي غير ان البشر الذين دبر الخلاص لاجلهم لم يقدروا قيمة الفداء والخلاص • ذلك أن التجسد دعي محبة ، وسن شريعة المحبة ، اما هم فقد نشأ بينهم خصام وعداء مستحكمين ، وحقد دائمي متأصل ، فهل هذه هي نتائج التجسد ؟

علينا اذن أن نترك الحزازات والخصومات والاحقاد ونلتف حول الله المتجسد مؤمنين متحابين شاكرين المنح التي اسبغها علينا بكرم وسخاء •

والانكى ، انه ظهرت فرقة اخرى قلبت مفاهيم هذا السر الالهي رأسا على عقب فاستنتجت ، كما اوحى اليها الشيطان عدو الخلاص وحاسد البشر ، من عبارة « انه تجسد من اجلنا » الواردة في قانون الايمان ، انه وجد مخلوقا بعد ان كان عدما ، وان وجوده كان لاجل ذاته وليس من اجل الآخرين اسوة ببقية المخلوقات التي وجدت لاجل ذاتها ، وتمادوا في مذهبهم الفاسد ورأيهم السقيم وقالوا اذا كان قد جاء من أجل خلاصنا فقد خلقه الله اذن من أجلنا كما خلقت المخلوقات الاخرى من أجل الانسان لامور واغراض متنوعة ، والمسيح ايضا وجد من أجلنا ، وخلق خادما لخلاصنا ، فلو لم يكن الانسان بحاجة الى خلاص لما وجد وبعبارة اخرى لو لم تفعل الخطيئة لما وجد المسيح بل كان عدما • فبما ان الخطيئة جعلتنا تحت الآلام ، ولحكم الدينونة ، والموت واللعنة ، وكان في نية الله ان تتخلص منها حتما ، فمن أجل ذلك وجد المسيح كما وجد الانبياء والمرسلون •

أن هذا الاعتقاد الفاسد يفرض ايضا تجريده عن كل ما رافق تجسده من آيات ومعجزات ، كالحبل به بدون زواج ، وتمجيد الملائكة اياه وظهور النجم ومجيء المجوس وشفاؤه مختلف الامراض ، وحتى قوته وسلطانه ، وقيامته من بين الاموات ، وجلوسه عن يمين الله،وجثو

كل ركبة له مما في السماء والارض فتكون هذه الامور كلها قد نالها بواسطتنا ، وقد جاءته عن طريق خلاصنا ، ومن ثم وجب عليه هو ان يشكرنا اذ لولا وقوعنا في الخطية لما حصل على هذه الامور كلهـا ، وهكذا يخالونه انسانا ، ويمتنعون عن شكره وحمده ، حقا ان هؤلاء هم من ابليس—حمانا الله من هذا الكفر—ووقانا شر المفسدين والباحثين .

الفصل السادس

فكرة التجسد

« قال الله نعمل الانسان على صورتنا كشبهنا » (تك ١ : ٢٦)

لم تكن فكرة التجسد جديدة لدى الانجيليين الاربعـة ، ولـم تبتدىء بقول الملاك للعذراء « ها انت ستحبلين وتلدين ابنا وتسـميـنه يسوع » (لوقا ١ : ٣١) انما هي فكرة قديمة جدا ، ذر قرنها في مخيلة الله الآب في البدء ، في أبعد نقطة يتخيلها الادراك ، فأننا نلمـح في قول الآب « نعمل الانسان على صورتنا كشبهنا » ومضا لهذه الفكرة ثم نلمح بريقا عند قوله ساعة سقوط آدم «ونسل المرأة يسحق رأسك» تك ٣ : ١٥ وبما ان الله تعالى روح بسيط لا يحصره زمان ولا مكان ، منزه عن الكم والكيف ، ولا يرى ولا يدرك ، فقد أعلن ذاته عـن طريق تلميحات وتصريحات واشارات ورموز واشكال ، وفي أقوال الآباء والمرسلين ، فبعد أن لمح تعالى في القولين السابقين ، ظهر لآدم بصوت مسموع مجرد عن الهيئة والشكل عندما قيل له « اين انت ؟ » فقال « سمعت صوتك في الجنة فخشيت » تك ٣ : ١٠ ثم لصـموئيل ٣ — ١ — ١٢ ، قال موسى لبني اسرائيل « وانتم سامعون صوت كلام الله ولكن لم تروا صورة بل صوتا » تث ٤ : ١٢ ١٥ وبعد هذا أخذ يظهر متخذا شكلا مرعبا وهيئة مخيفة « فقد رآه موسى في وسط العليقة التي كانت تتوقد بالنار وهي لا تحترق » خرو ٣ : ٢ ، ورآه اشـعياء النبي جالسا على كرسي عال يحف به السرافيم يسبحونه بتقاديسـهم الثلاثية اش ٦ : ٦و ٧ ونظره حزقيال النبي متربعا على مركبـة

الكاروبيم حز ١ : ٢٦ ورآه دانيال شيخا قديم الأيام دا ٧ : ٩ وعاينه داود النبى جالسا عن يمين الله الآب مز ١١٠ : ١

ثم ظهر بشكل اعتيادى ملحوظ وبصورة طبيعية ، وذلك بهيئة انسان او ملاك كما تجلى لابراهيم تك ١٨ : ١ ولوط تك ١٩ : ١ وهاجر تك ٢١ : ١٧ و ١٨ ويعقوب تك ٢٨ - ١ - ١٦ وغيرهم ، ثم اشير اليه بالذبائح كذبيحة هابيل واسحق ، فالذبائح الحيوانية الموسوية ، واحيانا اشير اليه بالامور المادية كالحية النحاسية التى رفعها موسى ، والمن ، وغير ذلك ، وقد ظهر على مسرح التاريخ اليهودى فى كل جيل انبياء كثيرون كانت اصواتهم ترن في آذان الشعب معلنة ارادة الله الصالحة ، وكان يتخلل نسيج نبواتهم خيط ذهبى لامع ينبىء عن وعد سرى عميق بحلول يوم مجيد ، من ذلك قول اشعياء « ها العذراء تحبل وتلد ابنا وتدعو اسمه عمانوئيل » وقول ميخا « وانت يا بيت لحم لست الصغرى بين أرض يهوذا لان منك يخرج مدبر يرعي شعبى اسرائيل »

وهكذا سارت تلك الفكرة المقدسة شكلية رمزية متخطية الاجيال والدهور مخترقة الحقب والعصور ، تتطلع على ما سجلته صروف الايام والليالى من المآسى والآلام على صفحات التاريخ البشرى ، حتى جاء ملء الزمان ، فتجسمت الفكرة واضحى السر حقيقة سافرة محسوسة وظهر المسيح من ابنة داود ، وتم كل شيء ٠ وهذا ما عناه الرسول بولس بقوله « الله بعد ما كلم الآباء بالانبياء قديما بأنواع وطرق كثيرة، كلمنا فى هذه الايام الأخيرة ، بابنه الذى جعله وارثا لكل شيء » عب ١ : ١ ٠

ومن سير هذا الحادث العجيب يتضح جليا ، ان التجسد (ظهور الله بالجسد) لم يكن حادثا طارئا ، ولا صدفة تاريخية انما يرتقى تاريخه الى البدء وهذا ما عناه الرب عندما قال لليهود (قبل ان يكون ابراهيم انا كائن) والقديس اوغسطينوس عند قوله (ان المسيحية كانت معنا منذ الخليقة) وقال ترتليانس (ان المسيح كان يعد نفسه للتجسد مدى الاجيال الطويلة التى سبقت هذا الظهور العجيب) وقال عالم آخر (المسيح هو الكنز المخفي فى العهد القديم)

لا ندرى لماذا طال زمن التجسد اجيالا وتأخر الله عن اعلان ذاته ٠ هذه هى حكمة الله الغير المدركة ٠ ولكننا نستنتج من قول الرسول بولس (هكذا نحن ايضا لما كنا قاصرين كنا مستعبدين تحت أركان العالم ولكن لما جاء ملء الزمان) غل ٤ : ٤ فعلى ضوء قول الرسول هذا نفهم ان البشرية كانت قاصرة عن الادراك ، محدودة التفكير ، طفلة التكوين والمنشأ ٠ لذلك كان يسقيها الله فى تلك الفترة من حياتها حليبا ريثما تنمو وتترعرع وتمر بادوار الحياة وتصبح مستعدة وقادرة على هضم (خبز الحياة النازل من السماء) ٠

اجل ، كان الله سبحانه وتعالى يعد له طيلة تلك الفترة الطويلة طريقا ممهدا في العالم ٠ على اختلاف اديانه واجناسه وعقلياته وطبقاته الاجتماعية واوضاعه الجغرافية والسياسية ٠ لان التجسد لم يحدث من أجل أمة معينة وشعب خاص بل جاء من أجل الكل (هكذا احب الله العالم) انه جاء من أجل كل العالم ٠ ونادى الجميع قائلا (تعالوا الي يا جميع المتعبين) ان لهذا الاعداد والتمهيد وجهين الوجه الاول يختص بالله ، والوجه الثانى يختص بالانسان ٠

وكل واحد من الطرفين كان يعمل ويمهد • فالله تعالى كان يمهد ذلك عن طريق اعلاناته وتلميحاته وظهوراته المختلفة بين آن واخر والتي صورته مرة انسانا واخرى ملاكا • ولقبته باسماء مختلفة الها ، ابن انسان ، ابن البشر ، ابن داود ، عجيبا ، مشيراً نبيا الخ • أما البشرية بما فيها الانبياء والمرسلون فلم يكونوا الا معدين وممهدين لهذا الحدث العظيم وكان بعضها في البرية يعد طريق الرب وهكذا قل عن باقي الانبياء •

وأما العالم فقد كان يدين بديانتين هما اليهودية والوثنية وعلمنا في « ضرورة التجسد وغاياته » كيف انهم توصلوا الى معرفة الاله الحقيقى بالتدرج الفكرى وتوقل سلم العلم والفلسفة • كما امتدت فكرة التجسد الى الوثنية بواسطة اليهود ، وعن طريق العهد القديم المترجم الى اليونانية في عهد بطليموس عام ٢٨٠ ق•م ، وبالاضافة الى التمهيد فى الناحية الدينية فقد كانت تلك الفترة بالذات ، فترة انتظام شؤون العالم السياسية والاجتماعية والجغرافية •

وربما كان الرب يسوع يشير الى هذا الاستعداد والتهيؤ لدى قوله « ارفعوا عيونكم وانظروا الحقول انها قد ابيضت للحصاد » يو ٤ : ٣٥ •

وفى ختام ذلك كله جاء ملء الزمان الذى قدرته السماء ، جاء المسيح وكأنه لم يحدث شيء غريب او أمر مفاجيء اذ كان منتظرا من اليهود والامم •

الفصل السابع

التجسد يتم

« ولكن لما جاء ملء الزمان ، ارسل الله ابنه ، مولودا من امرأة ، مولودا تحت الناموس » غل ٤ : ٤

واخيرا جاء ملء الزمان ، وقرب اوان خروج الفكرة من القوة الى الفعل ، وحان الوقت ليظهر الله فيه ظهورا يختلف عن اشباحه وخيالاته ، وآن الوقت الذى قرره الله لاتمام هذا الحدث الجليل الخطير • انه تم بطريقة عجيبة متقنة ، سيما والحادث لم يأت فجأة أو مصادفة ، انما جاء مدبرا وممهدا له منذ مئات السنين • فليس هو اذا مصادفة تاريخية ، ولا حدثا فجائيا •

هناك في قرية بسيطة ، وفى وسط ساذج ، وفى بيت متواضع ، كانت العذراء الفتاة القروية ، المتواضعة تردد صلاتها الخشوعية ، ساكبة قلبها أمام جلاله تعالى كعادتها ، واذا بجبرائيل الملاك النورانى يظهر لها من السماء فجأة بشكل بشرى ، فيلقى اليها بشرى السلام قائلا « سلام عليك ايتها الممتلئة نعمة ، الرب معك ، مباركة انت فى النساء فلما رأته اضطربت من كلامه وفكرت ما عسى ان تكون هذه التحية ، فقال لها الملاك لا تخافى يا مريم لانك قد وجدت نعمة عند الله ، وها انت ستحبلين ، وتلدين ابناً ، وتسمينه يسوع • هذا يكون عظيما وابن العلي يدعى ، ويعطيه الرب الاله كرسى داود ابيه ، ويملك على بيت يعقوب الى الابد ولا يكون لملكه نهاية • فقالت مريم الملاك

كيف يكون هذا وانا لست أعرف رجلا • فاجاب الملاك وقال لهـــا
الروح القدس يحل عليك ، وقوة العلى تضللك ، فلذلك ايضا القدوس
المولود منك يدعى ابن الله ، وهوذا اليصابات نسيبتك هي ايضا حبلى
بابن فى شيخوختها ، وهذا هو الشهر السادس لتلك المدعوة عاقرا ،لانه
ليس شيء غير ممكن لدى الله » لو ١ : ٢٨ ـ ٣٧ فتحنى مريم هامتها
وتقول « هوذا أنا أمة للرب ليكن لى كقولك » لو ٣٨:١ فى هـــذه
اللحظات بالذات يكمل هذا الحدث الجليل بسرعة هائلة لا يتصورهـا
العقل قال فيها المنبجى « السرعة الخارقة » اجل فى هذه اللحظة حـل
الروح القدس على العذراء ، وازال عنها اللعنة المقولة « بالوجع تلدين
أولادا » تك ٦:٣ وطهرها وقدسها من الدنس الابوى ، والخطيئـــة
الاصلية ، ثم نزل الله الكلمة بشكل هادىء ، وبطريقة بسيطة جـدا ،
نزل دون ان يترك حضن ابيه ، وبدون حركة انتقالية ، أى لم يترك
محلا ويشغل آخر ، لان هذا من صفات الاجسام والمركبات والله تعالى
روح محض بسيط منزه عن المادة والتركيب ، فالانتقال من محـل الى
آخر بالترك والاشغال لا يلائم طبيعته الالهية الروحية ، انما كان ذلـك
كالكلمة الصادرة عن العقـــل ، والتي تتجســم بالحبر على الورق ،
وهي فى العقل والورق فى آن واحد ، فقد حل تدبيريا فى احشـــاء
العذراء داخلا اليها من اذنها لانه كلمة ، والكلمة تدخل من الاذن ،
وأتخذ منها جسدا ذا نفس عاقلة ناطقة • وكان ذلك كله بأعجوبـة
بواسطة الروح القدس الذى جبله من دمائها • كان كله فى البتـــول
وكله فى الآب وان اللاهوت لم يحل فى احشاء العذراء قبل وجود

الناسوت فيها ، ولا الناسوت وجد قبل حلول اللاهوت لكن وجـــد
كلاهما معا فى لحظة واحدة ، واتحدا اتحادا اقنوميا طبيعيا وثيقا بـــلا
تبلبل ولا اختلاط ولا امتزاج ولا أستحالة كما ستعلم •

ويجدر بنا ان نقف هنا هنيهة نستعرض اقوال بعض الآبـاء فى
تعيين الزمن الذى فيه تم الحبل الالهى المقدس فى احشاء العـــذراء
الطاهرة ، ذهب البعض الى ان الحبل تم عند قول الملاك لها « السلام
عليك يا ممتلئة نعمة » وقال آخرون انه تم عند قوله « الرب معك »
وارتأى غيرهم ان ذلك تم عند قوله « تلدين ابنا » غير ان لوقا الانجيلى
يكشف القناع عن وجه هذه الحقيقة بقوله « سمي يسوع كما سـماه
الملاك قبل ان يحبل في البطن » لو ١٢:٢ ومن سير هذا الحـــدث
العجيب كما ينص عنه الكتاب يظهر ان الآيات التى يستند اليها القائلون
بتلك الآراء الثلاثة قيلت كلها قبل ان يسميه الملاك باسم يســوع ،
والصحيح ان الحبل تم عندما قالت العذراء « ها انا امة للرب فليكـن
لى كقولك » أى عندما اعطت قـــرار فمها ، وابدت بذلك رضاهـــا ،
نزل عليها الروح ، وحلت فيها قوة العلى ، وحبلت حقا •

ولما كمل هذا السر المقدس ، رجع الملاك الى حالته الاولى ، وتجرد
عن شكله وصورته المستعارة ، وغاب عن العذراء • اما العذراء فصعدت
مسرعة نحو جبال يهوذا لتفضى بهذا السر الى اليصابات نسيبتها التـي
ورد ذكرها في بشارة الملاك لها ، ولتقف على حقيقة امرها ، فألهـــم
الروح القدس اليصابات عن هذا السر فابتدرتها قائلة « من اين لى ان تأتى ام
ربى الىّ » وبعد ثلاثة اشهر عادت العذراء الى بيتها فى الناصرة •

حدث كل هذا ولم يعرف احد عنها شيئا حتى خطيبها يوسف البار ، بيد انه شعر الآن بذلك ، واراد تخليتها سرا ، فظهر له الملاك قائلا « لا تخف ان تأخذ مريم امرأتك ، لان الذى حبل به فيها هو من الروح القدس » مت ١:٢٠-٢٥ وحيث انه شاء ان يصير انسانا مثلنا حصر نفسه في البطن تسعة اشهر كاملة كالمعتاد . وبعدها جاء وقت الميلاد ، وقادت العناية الربانية يوسف ومريم الى بيت لحم للاكتتاب بأمر القيصر الرومانى ، وهناك تمت ايامها لتلد ، فلجأت الى مغارة صخرية طبيعية من المغاور التى تستعمل مرابط للماشية ، وولدت فيها ابنها البكر ، ولفته في الاقمطة ، ووضعته فى مذود ، وبهذا الشكل البسيط يدخل الاله الى العالم متجسدا .

وبما أن سر التجسد الالهى قد تم فى احشاء العذراء ، والمولود منها هو اله متجسد فهى اذن والدة الاله . ليس انها كانت مصدر اللاهوت ، ولكن الله حل فى احشائها فولدته متجسما[1] .

(١) ان الكتاب المقدس لم يرد فيه عبارة « مريم والدة الاله » ولكن هذا ليس دليلا على ان العذراء ليست والدة الاله ، لقد قلنا ونقول ان المركب من اثنين : كل ما ينسب لجزء ينسب للجزء الآخر وان كان الجزآن مختلفين ، مثلا لدى الحبل الطبيعي يتكون فى احشاء الامرأة « جسد » مجبول من زرع الرجل ومن دماء الامرأة ويخلق فيه الله فى اللحظة نفسها نفسا عاقلة ناطقة تتحد به اتحادا اقنوميا طبيعيا ، فيصبح انسانا كاملا ولدى الولادة لا يقال ان الامرأة ولدت « جسدا » وحده او جزءا من الانسان بل انسانا كاملا مؤلفا من جسد ونفس ، مع انها ليست مصدرا للنفس ، ولكن النفس اتحدت بالجسد فى احشائها، هكذا ايضا ولادة الابن المسيح من العذراء ، ولد ألها متحدا

واعلم ان للمولود من العذراء ميلادين ، الاول من الآب وهو ميلاد ازلى طبيعى نور من نور ، اله حق من اله حق ، وبدون حركة انتقالية ، وبالنسبة لهذا الميلاد يدعى ابن الله[2] .

= بالناسوت ، الها متجسدا لذلك يقال « مريم والدة الاله » أى الاله المتجسد المؤلف من اللاهوت والناسوت ، وما ينسب لجزء منه ينسب للكل . لقد اخطأ من قال ان اللاهوت حل فى المسيح بعد الولادة ، وحيث اننا ايدنا ذلك فى الشرح ، نضيف هنا ان الاتحاد تم فى الاحشاء فى اللحظة التى شرحناها ، ويدل قول الملاك للعذراء « روح القدس يحل عليك وقوة العلى تضللك ، والمولود منك قدوس وابن الله يدعى » الحلول او الاتحاد فى قول الملاك سابق للولادة . فلو قال الملاك « المولود منك يدعى قدوسا وابن الله ويحل عليك روح القدس » لكان زعم الخصوم صائبا والامر بالعكس ، اذا بكل حق تدعى العذراء والدة الاله، بالاضافة الى هذا كله نقول ان التسمية تؤخذ عن نوعية الشيء وماهيته، لا نوعية الشيء وماهيته تؤخذ عن الاسم مثلا لو اطلقنا على الحجرة انسانا فذاك مستحيل ، ولو اطلقنا على الانسان حجر ايضا مستحيل ، لان نوعية الشيء وماهيته تأبى ان تكون بذاك الاسم لذلك يكون « العذراء والدة الاله » امرا ثابتا ، والذين يأبون بهذه التسمية «فهم بلا عذر» .

(٢) ان بنوة الابن للاب طبيعية ، منزهة عن الانفعال والتفاعل التام والالم ، بطريقة تفوق الادراك وتقربا للفهم هو اشبه بتولد شعاع الشمس من جرمها . وهما متساويان فى الصفات وفى كل شيء عدا الاقنومية وقد اعلن يوحنا الانجيلي عن تميزهما بالاقنومية ووحدتهما فى ما سواهما فى البدء كان الكلمة ، والكلمة كان عند الله ، والله كان الكلمة » يو ١:١ . اما سبب تسمية الاقنوم الواحد بالآب ، والآخر بالابن فللامرين التاليين : الاول : لان الاقنوم الاول هو بمنزلة ينبوع او مبدأ قد اعطى الاقنوم الصادر عنه طبيعته وجوهره كله كقوله تعالى « كل ما هو للاب فهو لى »

وميلاد ثان من العذراء بالجسد ، وهو ميلاد زمني تم في المغارة بنوع يفوق الناموس الطبيعي ، بل هو بحد ذاته اعجوبة ، لها وجهان هما : آله يولد متجسدا من ابنة البشر ، وابنة البشر تلد بدون زواج ! وبالنسبة الى هذه الولادة العجيبة يدعى ابن العذراء ، ابن داود ، وابن أبراهيم • وكما ان الميلاد الاول الازلى الطبيعي الذى من الاب ، غامض لا يستوعبه العقل ، كذلك والميلاد الثانى الذى من العذراء ايضا هو فوق الادراك ، وكلاهما للابن الواحد ، وقد اعلن عنهما يوحنا الرسول بقوله عن الاول « فى البدء كان الكلمة ، والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله » يو ١ : ١ وعن الثانى « الكلمة صار جسدا » كما اشار اليهما يوحنا المعمدان بقوله « قد جعل قبلى » مشيرا الى الميلاد الازلى ، ويأتى بعدى ، مشيرا الى الميلاد الزمنى ، بيد انه لا يوحنا الحبيب ولا يوحنا المعمدان شرح كيفية حدوث الميلادين لعدم أدراكهما اياهما •

ان الابن الذى له هذان الميلادان ، هو نفسه ابن الله وابن مريم ،

= ولعل أروع تعبير عن هذا الصدور والمساواة هو اوجه الشبه مابين الآب والابن • والثانى : للدلالة على مساواتهما فى الطبع والجوهر والازلية وسائر الصفات الالهية والى المحبة الكاملة ، والوحدة التامة غير المنفصمة القائمة بينهما • كقوله له المجد «انا والآب واحد » و « من رآنى فقد رأى الآب » ذلك ان العقل البشرى لا يمكن ان يتصور نسبة تفيد الوحدة والمحبة والمساواة مابين شخصين مثلما يتصورهما بين الآب وابنه •

وليس أثنين ، الواحد أبن الآب بالطبيعة ، والآخر ابن مريم بالنعمة • لكنه ابن واحد بالطبيعة كقول بطرس الرسول « انت هو المسيح ابن الله الحى » هو وحيد الآب فى السماء ، ووحيده على الارض ايضا • اى ليس ان الآب ولد واحدا ، ومريم ولدت آخر لكنها ولدت من قد ولده الآب بعينه كقول الرسول « ولما جاء ملء الزمان ، ارسل الله ابنه مولودا من امرأة » غل ٤:٤ •

الفصل الثامن

اشتراك الاقانيم الثلاثة

في سر التجسد

« الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظللك ، فلذلك ايضا القدوس المولود منك يدعى ابن الله » لو ٣٥:١

تعتقد المسيحية بان الله جوهر واحد كائن فى ثلاثة اقانيم متميزة عن بعضها البعض تعرف بالآب والابن والروح القدس لا كما وهم المبتدع سابليوس زاعما ان التثليث كناية عن ثلاثة جليانات مختلفة لآله واحد مفرد الاقنوم • وان الالقاب ، آب ، ابن ، روح قدس ، ليست أسماء اقانيم متميزة بل اسماء ظهورات لاقنوم واحد سمى الاب لانه الخالق ، وسمي الابن لانه الفادى ، وسمى الروح القدس لانه حل على الرسل •

وحيث ان هذا ليس موضوع بحثنا هنا نكتفى بالقول انها بدعة وخيمة ينقضها العقل والنقل ، فأن يوحنا شهد ان فى السماء ثلاثة هم الآب والروح والكلمة وهم الذين تجلوا عند عماد الرب لذلك قال الرب « اذهبوا وتلمذوا جميع الامم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس» ولنعلمن الآن ايا من هذه الاقانيم الثلاثة تجسد ، وما كان موقف الاقنومين الآخرين حيال هذا التجسد ؟

ان الذى قام بفعل التجسد هو الاقنوم الثانى غير ان الاقنومين الآخرين ايضا لوحدتهما معه فى اللاهوت كانا عاملين ، وشريكين فى

تجسده لذلك يكون الثالوث بكامله قد اكمل سر التجسد الالهي ، وقد أشار الثالوث نفسه قبلا الى هذا السر العجيب اذ ظهر لابراهيم بشكل ثلاثة رجال وبشره بولادة اسحق جد المسيح تك ٢:١٨ بل ان الملاك جبرائيل نفسه اعلن هذا فى اثناء البشارة قائلا « الروح القدس يحل عليك وقوة العلى تظللك ، فلذلك ايضا القدوس المولود منك يدعى ابن الله » لوقا ١ : ٣٥ وايذانا بهذه الحقيقة الوضاءة يقول الكاهن في اثناء الاحتفال بالقداس الالهي « محبة الله الاب ، ونعمة الابن الوحيد ، وشركة حلول الروح القدس ، لتكن مع جميعكم يا اخوتى الى الابد » •

وهنا نبين دور كل من الاقانيم الثلاثة فى سر التجسد •

دور الابن الاقنوم الثانى

ان دور الابن – الاقنوم الثانى – من الثالوث الاقدس هو قبول فعل التجسد • حقا لقد كان التجسد لائقا بهذا الاقنوم دون غيره ، لانه يدعى أقنوم الكلمة أو النطق ، ولما كان النطق سبب اتصال الانسان بالله لذلك لاق بهذا الاقنوم جل شأنه ان يتجسد ويظهر للناس • قال الرسول «الله بعدما كلم الآباء بالانبياء قديما بأنواع وطرق كثيرة ، كلمنا فى هذه الايام الاخيرة فى ابنه » عب ١ : ١

ويقول رجال الفلسفة ان الفاعل قد يكون هو القابل أو غير القابل ولما كان اللاهوت هو الفاعل لاجراء التجسد ، والاقنوم الثانى هو القابل اياه اذ بصفته الاقنومية اى البنوة هو الذى يعلن الله ويظهره

لذلك يكون وحده هو الذى تجسد فيما يبقى كل من الاقنومين الآخرين محتفظا بخاصته ايضا • قال مار يعقوب السروجى « ان كلا من الاقانيم الثلاثة له صفة خاصة دون الآخر ، لذلك ينفرد الابن بفعل التجسد والظهور علنا دون الاقنومين الآخرين » ومما يؤيد ان الاقنوم الثانى هو المتجسد ما قاله الكتاب « الله لم يره احد قط ، الابن الوحيدالذى هو في حضن الآب هو خبّر » يو ١ : ١٨ والله هنا يقصد به الكتاب « الآب » الذى لم يتجسد ، ويقول ايضا مؤيدا ان الروح كذلك لم يتجسد « الريح تهب حيث تشاء وتسمع صوتها ، لكنك لا تعلم من أين تأتى والى اين تذهب ، هكذا كل من ولد من الروح » يو ٨:٣ • وأعلم أن الروح ظهر مرتين الاولى بشكل حمامة ، والثانية بشكل ألسنة نارية ، بيد أن ظهوره ليس حقيقيا بل شكلى متغير ، اما ظهور الابن ، المسيح ، فهو حقيقى غير متغير ، أجل ان الابن أخذ طبيعة الناسوت فيما ان الروح لم يأخذ طبيعة الحمامة بدليل انه لم يعد يتراءى بشبه حمامة ، وهكذا الامر فى ظهوره بشكل ألسنة نارية •

ومما يؤيد تجسد الابن ، شهادة الابن نفسه فى قوله « ابى اعظم مني » مشيرا الى كونه صار جسدا فنسبت اليه الالقاب البشرية الوضيعة ، بينما لم تنسب هذه الالقاب الى الاقنومين الآخرين •

وحيث ان للاقنوم الثانى وحده حق التجسد « اى ان يظهر الهاً متجسداً » ، كما تبين ، فكلما رأيت صفة الظهور ملازمةلاسم الله اعلم أن ذلك يشير الى الاقنوم الثانىدون الاقنومين الآخرين ، فأن ظهورات الله في العهد القديم بأشكال ، مختلفة كما علمنا من « فكرة التجسد »

كانت تشير اليه وحده ، لانه سمي تارة كلمة ، وطورا ملاك العهد ، واحيانا أنسانا وابن انسان ، وهذه الالقاب الثلاثة خاصة بالابن وحده •

ان العهد القديم أعلن بصراحة ان المسيح المنتظر ان يأتى الى العالم هو ملاك العهد ملا ١:٣ ، وانسان وابن انسان دا ١٣:٣ وحز ٢٦:١ أما العهد الجديد فقد بين ان المراد من هذين الاصطلاحين هو المسيح الاقنوم الثانى ، ذلك أن لفظة ملاك تعنى فى الاصل رسولا ، ولذلك فأن العهد الجديد يسمى المسيح رسولا كقول بولس « انه رسول اعترافنا » عب ١:٣ بل ان الرب نفسه قال « ان الآب ارسلنى » يو ٦ : ٤٤ ، وكذلك اطلق هذا العهد لفظتى انسان وابن انسان مرارا على يسوح المسيح كما يتضح لمن يطالعه •

أما لفظة « كلمة » الواردة فى العهد القديم ، فلا تعنى مجرد كلام بل شخصا أو ذاتا هو الاقنوم الثانى بنفسه ، بدليل تعبير الانبياء عن كيفية هبوط الوحي عليهم بقولهم « كانت كلمة الرب اليّ » ومما يؤيد هذا الرأى قول حزقيال النبى « ان كلمة الرب صارت اليّ قائلة يا أبن آدم قد جعلتك رقيبا لبيت اسرائيل ، فأسمع الكلمة من فمي واندرهم من قبلى » حز ١٧:٣ — ١٨ • قال العلامة مار غريغوريوس ابن العبرى « ان الخالق حى حكيم ، فهو يحكم بالحكمة ، ويحيا بالحياة ، وان الحكمة والحياة فيه أقنومان قائمان بذاتهما وليستا صفات تنسب اليه كالازلية والسرمدية والقداسة مثلا بدليل ، ان حكمة الله وحياته اما ان يكونا كلا منهما فيه عرضا أو جوهرا ، والحال لا يمكن ان يكونا عرضين ، لان الله روح بسيط منزه عن الاعراض ،

اذاً هما أقنومان قائمان بذاتهما ، وهكذا يحصل ثلاثة اقانيم في جوهر واحد ، وأله واحد ، متحدون بدون انفصال ، متساوون فى كل شيء، ويتميزون بصفات الاقنومية فقط ، فالاقنوم الذى يحكم ويحيا هو الاب وخاصته الابوة،والحكمة هو الابن وخاصته البنوة والولادة ، والحياة هو الروح وخاصته الانبثاق » •

وهكذا نرى الرب يسوع ، الاقنوم الثانى ينسب صفة الظهور الى نفسه في صلاته الى ابيه قائلا « اذ أظهرت اسمك للناس » يو ٦:١٧ كما يحسبها ملكه الخاص بقوله عن الروح القدس « يأخذ مما لى ويخبركم » • اى ان الروح اخذ من الابن صفة الظهور ليس الا ، بدليل ان الابن كان خفيا فظهر ، وأختص بهذه الصفة دونالاقنومين الآخرين ، فتسنى له من ثم ان يقول «لى» عن الظهور دون ان يشرك فيه الآب والروح ، فلما اراد الرب يسوع ان يعلم التلاميذ عن حلول الروح القدس عليهم بشكل محسوس قال سوف يأتى « ويأخذ مما لى ويخبركم » اى سوف يظهر آخذا عنى صفة الظهور •

وهذا لا يعنى ان الروح أخذ عن الابن العلم والسلطان والقوة الخ • ذلك ان هذه الصفات النسبية مشاعة للاقانيم الثلاثة بالسوية لكل منهم ، والا فذلك انكار صريح للاهوته ، كما ان ما يأخذه من الابن، لو لم يأخذه من الآب ايضا ، لعدّ غير موجود لديه ، ولاصبح الآب كذلك ناقصا وهذا محال ، فقول المسيح اذن انه « يأخذ مما لى » يعنى انه يأخذ (الظهور) ليس الا تلك الصفة الخاصة بالابن دون الاقنومين الآخرين •

ذور الاقنوم الاول

ان الآب الاقنوم الاول كان راضيا ومسرورا جدا بتجسد الابن وظهوره كقول الرسول بولس ، وقد اظهر الاب سروره ورضاه بحيث قام بدور التقديس والمسح والارسال ، كقول الابن له المجد (الذى قدسه الآب وارسله) يو ٣٦:١٠• انه قدسه لكونه صار انسانا كما قال الرب نفسه (لاجلهم اقدس انا ذاتى) يو ١٩:١٧ • اما ارساله الابن فلم يكن كما يرسل السيد خادمه لان الابن مساو للاب فى كل شيء ، وأنما أرسله اى اظهره واولده كما ترسل الشمس شعاعها بصدوره عن ذاته ،قال مار يعقوب السروجى (ان الآب لم يرسل الابن على أنه أصغر منه ، اذ كلاهما متساويان فى كل شيء ، بل كما ترسل الشمس أشعتها الى الكون) ولما تم أرسال الابن ، واتحد بالجسد لم يتجرد عن مساواته فى الطبع للآب والروح القدس ، وكما قدسه الآب وارسله كذلك مسحه بالروح القدس كما تنبأ داود النبي قائلا (لاجل ذلك مسحك الله الهك بدهن الابتهاج اكثر من رفقائك) مز ٤٥ • نعم ان الله الآب مسح الله الابن المتجسد بزيت الابتهاج اى بالسرور والرضى بالله الروح القدس ، وقد ابتدأ أعلان هذه المسحة منذ سقط آدم •أجل لقد (مسحه الآب ازليا) مز ٧:٤٥ • اى اعده لعمل الفداء ، لانالمسيح من الوجهة المعنوية ، يعنى الشخص المعين من الله ، لتنفيذ قصد من مقاصده ولئن لم يكن ممسوحا بهذا الدهن واشار بقوله « أكثر من رفقائك » اذ ان مسحة المسيح سماوية روحية نقيض الملوك والكهنة والانبياء الذين اتخذ المسيح طبيعتهم البشرية للفداء ، لان هؤلاء جميعا

مسحوا في اوقات معينة ، وبمواد طبيعيةوبأيد بشرية ونظرا الى حاجتهم الى ذلك • بقى ان نعلم متى مسحه الله ؟ أقبل ان يحبل به ؟ أم في حال الحبل ؟ ام بعد الميلاد ؟ اننا نستنتج من قول متى « كتاب ميلاد يسوع المسيح » انه ولد ممسوحا بيد ان آباء الكنيسة اختلفوا في زمن هذه المسحة فقال بعضهم ، انه مسح قبل ان يحبل به بأعتبار ان أرساله من الاب مسحة له • وبرهانهم على ذلك قوله تعالى (ان الذى قدسه الآب وارسله الى العالم) • وارتأى آخرون ان المسحة انما تمت في اثناء الحبل به ، حيث حل الروح القدس في احشاء البتول المصون وطهرها ، وجبل من دمائها جسدا مسح وقدس واتحد به الكلمة أتحادا أقنوميا طبيعيا وقد صدقت هذه المسحة لدى حلول الروح القدس عليه في عماده •

دور الروح القدس الاقنوم الثالث

ان الروح القدس الاقنوم الثالث قام بأمرين (١) حل على العذراء وقدسها من الدنس الابوى ومن الخطية الاصلية كقول الملاك روح القدس يحل عليك (٢) وكما جبل في البدء جسد آدم الاول من تراب الارض هكذا جبل جسد المسيح آدم الثاني من دماء العذراء • كقول الانجيلى « وجدت حبلى من الروح القدس » مت ١٨:١ وقول الملاك « ان الذى حبل به فيها هو من الروح القدس » مت ٢٠:١ وكما نص قانون الايمان النيقاوى بقوله « انه تجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء » •

ولا نعنى بقولنا جبل الروح الجسد انه خلقه بل هيأ هيكلا للكلمة ليقوم مقام الشخص • ولكنه لم يدع ابا له اذ لم يعطه شيئا من جوهره، وقد قام الروح بهذا العمل اى بجبل الجسد ، لا لان الابن لم يكن قادرا أن يجبله ويقدسه ، بل ليبرهن على ان التجسد تم برضى الثالوث الاقدس ومسرته ، ومشاركته •

الفصل التاسع

حقيقة ناسوت المسيح
وعصمته من الخطيئة

« فاذ قد تشارك الاولاد في اللحم والدم ، اشترك هو ايضا كذلك فيهما ، ثم كان ينبغي ان يشبه اخوته في كل شيء » عب٢:١٣

تعتقد الكنيسة المسيحية بان كلمة الله ، أتخذ ناسوتا حقيقيا يشبهنا في كل شيء ما عدا الخطيئة ، مؤلف من نفس عاقلة ناطقة وجسد ، فصار انسانا حقيقيا كاملا •

غير انه ظهر على مسرح الكنيسة بعض المبتدعين ، خالفوا هذا الايمان الصحيح ، منكرين حقيقة الناسوت المقدس ، اشهرهم ابوليناريوس واوطيخا ، ويوليان الخيالي • فقد تكونت لديهم اربعة آراء او مذاهب فاسدة واهية وهي : (١) ان اللاهوت الغير المنظور والغير المحسوس ، والغير المحصور والبسيط ، استحال الى شكل منظور ومحسوس وانحصر في محل دون آخر (٢) أن الناسوت كان خياليا• (٣) انه ناسوت حقيقي ولكنه ليس من البتول مريم بل من جوهر سماوي (٤) انه كان خاليا من النفس البشرية العاقلة الناطقة التي قام اللاهوت مقامها •

انهم بهذه الآراء الخاطئة ينكرون اولا وآخرا حقيقة الخلاص والفداء ، بل حقيقة سر التجسد كقول مار سويريوس الانطاكي • فدحضا لهذه الآراء ، واثباتا للعقيدة الصحيحة الواضحة ، نبحث في

الأمرين التاليين وهما (١) حقيقة ناسوت المسيح (٢) عصمته من الخطيئة •

الرأي الاول

« ان اللاهوت الغير المنظور ، والغير المحسوس ، والبسيط ، استحال الى طبيعة بشرية »

ان هذا الرأي ساقط من اساسه لانه يجمع متناقضات كثيرة في طبع واحد أي منظور وغير منظور ، مركب وبسيط ، محصور وغير محصور ، روح وجسد • اجل ان هذه الامور لا يمكن ان تجتمع في جوهر واحد ذي طبع واحد ، أذ ينشأ من ذلك مبدأ التناقض •

ان اهل هذا المذهب يعترفون معنا بان الطبيعة الآلهية بسيطة منزهة عن الحواس ، والتركيب والحصر • كما يعترفون ايضا بان الذي ظهر بالجسد وقع تحت الحواس ، وحصر في كل محل خاص ، وخلا منه محل آخر ، لمس وشوهد، فمن اين ترى جاءته هذه الامور ؟ امن نتيجة تغيير في الطبيعة الالهية ؟ ام انه أتخذها من البتول ! أم كانت خيالية ؟ لا شك في انه لا يصح ان تكون هذه الامور كذلك ، فلا يمكن ان تكون هذه العوامل خيالية ، او مأخوذة من جوهر آخر ، او من الطبيعة الالهية ، لانها ليست من خصائصها ، بل من خصائص الجسد البشري الترابي • فينتج من ثم حتما ، وبحكم الواقع ، أن جسد المسيح جسد ترابي مثل جسدنا أخذه من البتول ، واليه تنسب العوارض الجسدية •

الرأى الثانى

« ان جسد المسيح من جوهر سماوى وليس من البتول ، انما مر بها مرورا متخذا من احشائها طريقا »

إننا لو تأملنا مع آباء الكنيسة هذا الجسد المقدس ، لما رأينا له شبيها لا فى السماء ولا فى الارض ، سوى الجسد الانساني الترابي الذى يشبهه كل الشبه . كذلك لو تأملنا جسد الانسان لما رأينا له شبيها سوى جسد السيد المسيح ، الامر الذى يؤكد لنا ان جسد المسيح مثل جسدنا ما عدا الخطيئة .

اضف الى هذا ان فكرة الجسد السماوى غير منطقية ، ولا يمكن أن يدعمها برهان ، ذلك ان الاجساد الحقيقية لا وجود لها فى السماء، عالم الروح الذى لا أثر فيه للمادة والجسم على الاطلاق . قال مار اسحق الانطاكى «لم يأخذ (الرب) جسده منَ جوهر الملائكة لانها أرواح منزهة عن الاجساد » وقال بولس الرسول « لانه حقا ليس يمسك الملائكة بل يمسك نسل ابراهيم » عب : ٢ ــ ١٦

واما قولهم بان الله جعل من العذراء بحلوله فيها طريقا ومجازا ، فهو قول هراء . وهل يعقل ان يستغرق هذا الطريق تسعة اشهر كاملة ! بل كيف تسنى لذلك الجسم ان يلج العذراء من الاذن ؟؟ ولو كان جسدا سماويا ، لما ترى رضع بعد ولادته منها لبناً ماديا من ثدييها ونمى وتقوى ؟! ثم ان الغاية من مجيىء السيد المسيح كانت التجسد لافتداء الانسان . وهذه الغاية لا تتفق والمجيء بجسد سماوى بل تتطلب جسدا مثل جسدنا لانها تستلزم الآلام والصلب والموت وكل عوارض

الجسد الترابى . اما الجسد السماوى ــ ان صح ان نقول جسدا سماويا ــ فيتنافى وتلك الامور . قال بولس الرسول « فاذ قد تشارك الاولاد فى اللحم والدمِ اشترك هو ايضا كذلك فيهما » عب ٢:١٤ . قال مار ثاوفيلس الاسكندرى « ان كلمة الله الحى الحكيم لم يأخذ جسدا من مادة سماوية وجاء بها الينا ولكنه بما انه أراد أن يأتي الينا ليجدد ويصلح الانسان الترابى ، وليظهر مهارته وقدرته بهذا أخذ ما يوافق ذلك وهو الجسد الترابى الخاضع للنمو الطبيعي » وقال مار أسحق الانطاكى « أن الرب لم يجلب جسدا معه ، بل جاء ليصير جسدا ، فحل روحيا فى أحشاء العذراء ، وظهر منها انسانا متجسدا مثلنا » .

ومما يعزز هذا ويؤيده ويبكم افواه المعاندين قول الملاك للعذراء « ها انت تحبلين وتلدين ابنا » لو ١ : ٣ وقوله ليوسف خطيبها « لان الذى حبل به فيها من الروح القدس » وقول الانجيلى متي « وجدت حبلى من الروح القدس » مت ١ ١٨ ــ ٢٢ . هذا فضلا عن نسب الانجيل المقدس الى هذا الجسد المقدس سلسلتين من النسب ، نظم احداهما متي ، والاخرى لوقا .

أما ما قاله الرب « انا لست من العالم » يو ٨ : ٢٣ فلا يدل على أنه ليس من جنسنا ، بل على طهره وخلوه من الخطيئة وأنفصاله عن الاشرار . وقد قال مرة لتلاميذه « انتم لستم من العالم » يو ١٦ : ١٩ فهل كانت اجسادهم غريبة عن اجسادنا ؟ . ونختم بيان فساد هذا الرأى بقول القديس قورلس « لا يجب ان تذهب مذهب الهراطقة القدامى

الذين اعتقدوا بان جسد المسيح محال من طبيعته الألهية ، ولكننا نتبع آراء الكتب الموحى بها ، ونعترف ونؤيد ان الله اخذ جسدا من البتول »

الرأى الثالث

« ان جسد المسيح لم يكن حقيقيا بل كان خياليا »

اننا اوضحنا بجلاء فى نقض الرأيين السابقين ، أن جسد المسيح كان جسدا حقيقيا مثل جسدنا ما عدا الخطيئة . وزيادة فى الايضاح نقول :

قال الرسول بولس « فأذ قد تشارك الاولاد فى اللحم والدم اشترك هو ايضا كذلك فيهما ، ثم كان ينبغى أن يشبه اخوته فى كل شيء » عب ٢: ١٣ – ٨ فهذه المعانى ترى بادية في حياة المسيح منذ الحبل به وحتى صعوده الى السماء . شاء الكلمة ان يصير انسانا مثلنا، فأوجبت الحال ان يصير جنينا ، ويمكث فى احشاء العذراء تسعة اشهر كاملة ثم يولد ، ويقمط ، ويضجع فى مذود . ويختتن فى اليوم الثامن حسب الناموس ، ويدعى فاتح رحم ، ويأخذه ابواه الى الهيكل فى اورشليم فى تمام الاربعين يوما . ثم يهرب الى مصر خوفا من الموت ، وبعد ان يطمئن على حياته يعود الى الناصرة حيث سكن وتربى ، ونما تدريجيا نموا طبيعيا ، خاضعا لجميع الانفعالات والعوارض الجسدية، يأكل ، ويشرب ، ويتعب ، ويستريح ، ويتقدم فى الحكمة ويعتمد فى الثلاثين من عمره ، ويصوم ، ويجرب من ابليس ويجالس الناس ، يؤاكلهم ويشاربهم ، ويعلمهم ويحاورهم ، ثم يحاكم ويتألم ، ويصلب ويموت ، ويذهب نيقوديموس الى بيلاطس طالبا جسده ليدفنه . فيأخذه

ويضعه فى قبر جديد ، ويقام عليه الحراس ، ويقوم من القبر ، ويظهر للتلاميذ والنسوة والاخوة،ويقول لتوما « هات اصبعك وضعها فى جنبى ولاحظ اثار المسامير » ثم يقول للتلاميذ « ما بالكم مضطربين ، ولماذا تخطر افكار فى قلوبكم انظروا يدى ورجلى انى أنا هو . جسونى فأن الروح ليس له لحم وعظام كما ترون لى ، وحين قال هذا اراهم يديه ورجليه » وعند صعوده الى السماء أخذ تلاميذه الى جبل الزيتون، وصعد أمامهم متواريا عنهم ، وظهر ملاكان من السماء وقالا للتلاميذ « ايها الرجال الجليليون ما بالكم واقفون تنظرون الى السماء . ان يسوع هذا الذى ارتفع عنكم الى السماء سيأتى هكذا كما رأيتموه منطلقا الى السماء » اع ١ : ١١ وذلك لكى يصرف عن عقول التلاميذ ما سيطر عليها من افكار . هل سوف يتلاشى ؟ او سيبقى ؟ وما سيحدث له ! مؤكدا لهم انه باق وهكذا سيأتى فى مجيئه الثانى .

والحال ان الخيال لا يخضع لهذه الامور ، اذ هي من خصوصيات الجسد الحقيقى سيما وان ذلك الجسد بعد أن وضعته العذراء ، صار فيها حليب ، وتطهرت من الولادة كالمعتاد .

الرأى الرابع

« ان اللاهوت قام مقام النفس فى الجسد ، اذ لم يكن له نفس حقيقية »

اننا نلاحظ جيدا ، وورود عبارة « ابن الانسان و « الانسان يسوع المسيح » مرارا في الكتاب المقدس . وحيث ان « الانسان » يعنى النفس والجسد معا ، فناسوت المسيح اذن كان مركبا من نفس وجسد هذا فضلا عن تصريحه تعالى بوضوح عن هذه النفس بقوله « لى سلطان أن

أضع نفسى ولى سلطان أن آخذها ايضا » وقوله « يا أبتاه فى يديك استودع روحى »» لو ٢٣ : ٤٦ و « نفسى حزينة جدا حتى الموت » مت ٢٦ : ٣٨ وقول الانجيلى « انزعج فى نفسه » يو ١١ : ٣٨ و « مات الذين كانوا يريدون نفس الصبي » مت ٢ : ٢٠

فهذه الاقوال تبين ان الرب يسوع فضلا عن أن له نفسا بشرية ، فقد خضع لجميع الانفعالات التي تتأثر بها نحن البشر ، والشعور بهذه العوامل ليست من خصائص اللاهوت ، لان اللاهوت منزه عن التأثر بأى مؤثر على الاطلاق ، انما هو من خصائص الجسد المتحد بالنفس او بالحرى من خصائص النفس المتحدة بالجسد •

عصمة السيد المسيح وخلوه من الخطيئة

لقد مر معنا ان السيد المسيح لبس جسد آدم قبل الخطيئة اى قبل ان يخطأ ، أجل انه لبس هذا الجسد الذى أخطأ ، وبآلامه جعله غير متألم،وبموته منحه الخلود وبقيامته اقامه من سقطته وفقا لقول الرسول بولس « فالله اذ ارسل ابنه فى شبه جسد الخطيئة ولاجل الخطيئة دان الخطيئة فى الجسد » رو ٨ : ٣ • اننا نجد فى هذا القول حلا شافيا لهذا المشكل ، اذ يشبه جسد المسيح بجسد الخطيئة • فجسد السيد المسيح اذا على حد تعبير الرسول يشبه جسدنا المائت الترابى ، وحيث أن المشبه لا يكون كالمشبه به من كل الوجوه ، اذلك نجد بعض فوارق بينهما منها

١ - ان جسد المسيح كان يشبه الجسد الترابى اذ جاء متوافقا مع قانون الطبيعة العام اذ أخضعه صاحبه لحكم هذا القانون • غير أنه

كان يفوق القوانين الطبيعية من وجوه اخرى مخالفا جسدنا وذلك حسب حالة تتوافق مع طبعه الالهى فانه لم يتكون من زرع بشرى ، وان العوارض الطبيعية كالجوع والعطش والتعب والآلام والموت جاءته بارادته لا اضطرارا ، وانها لم تأت طبيعية بل تدبيريا ، بل انه جاء مخالفا لاجسادنا بالعوارض الطبيعية بالذات • فلم يذكر الكتاب انه مرض وتعافى ، أذ كان جسده معافى دائما ، سليما ليس فيه محلا لجراثيم الامراض ثم بموته خرج دم وماء •

٢ - ان الفارق الرئيسى بين جسدنا الترابى وجسده المقدس هو خلوه من الخطية خلوا تاما بدليل قول الرسول بولس « تشبه بنا فى كل شىء عدا الخطيئة » وذلك للاسباب التالية :

أولا : ان السيد المسيح كان الها متجسدا ، لا انسانا بحتا ، وحيث ان الله كامل وقدوس ، لا تتناسب الخطية مع قداسته وكماله الذاتي • نعم لقد قال الكتاب « ليس بارا ولا واحد ، ليس من يعمل صلاحا ، الجميع أخطأوا واعوزهم مجد الله » غير ان الاله المتجسد الكامل القدوس قال « لست من العالم » فهو ليس واحدا من هؤلاء الذين حدّث عنهم الكتاب •

ثانيا : انه لم يولد فى الخطيئة ولادة طبيعية مثل البشر من زرع بشرى لتنطبق عليه ما قاله داود النبى « لاني بالخطيئة صورت وبالاثم حبلت بى امى » أو ما قاله الرسول « من أجل ذلك كانما بانسان واحد دخلت الخطيئة الى العالم ، وبالخطيئة الموت ، وهكذا اجتاز الموت الى

جميع الناس ، اذ أخطأ الجميع » رو ٥ : ١٢ لكنه ولد من الروح القدس كما اسلفنا •

ثالثا : قول الآب عنه « عبدي البار » اش ٥٣ : ٩ وشهادة رسله له « لم يفعل خطية ولا وجد فى فمه مكر » ١ بط ٢ : ٢٢ و « انه لم يعرف خطية » ٢ كو ٥ : ٢١ و « بلا خطية » عب ٤ : ١٥ و « ليس فيه خطية » ١ يو ٣ : ٥

رابعا : كفى دليلا شهادته لنفسه « من منكم يبكتني عن خطية » يو ٨ : ٤٦

خامسا : ان الخطية ليست من جوهر طبيعة الانسان ، انما دست عليه بطريقة عرضية ، ذلك ان الانسان خلق في حالة البر والقداسة ، فيه قوى العوارض الطبيعية كالاكل والشرب ، غير انه بتجاوزه حدود عوارضه سقط فى خطية الشره ، ثم بنتيجة ما طرأ على طبيعته البارة من تغيير ، دخلت اليه الخطية ، وبهذا المعنى يمكننا ان ندعوها « الطبيعة المريضة بالخطية » والمرض فى الانسان شيء عرضي والخطية ايضا فى الطبيعة البشرية جاءت حدثا عرضيا ، وليست طبيعية • ولنا فى ذلك دليل وهو ما جرى لداود النبى عندما شاخ جيىء اليه بفتاة وضعها فى حضنه دون ان تثور شهوته • لان الشهوة عرضية فى الانسان لا طبيعية ، بينما البرد كان فيه طبيعيا لذا احتاج الى فتاة لتدفئه •

وان هذا الامر العرضى يدعوه الرسول بولس فى الاصحاح السابع من رسالته الى أهل رومية « ناموس الخطية » الذى خضعت

له البشرية •. قال « أرى ناموسا آخر فى اعضائي يحارب ناموس ذهني ويسبيني الى ناموس الخطية الكائن فى اعضائى » ويحسن بالقاريء ان يطالع هذا الاصحاح بجملته ليفهم ذلك •

ان السيد المسيح جاء بجسد خال عن الخطيئه ، جاء بطبيعة سليمة من ذلك المرض • لا بل جاء طبيبا شافيا لطبيعتنا المبتلاة بالخطيئة معيدا اليها صحتها وعافيتها وهذا ما يؤيده الرسول بولس ايضا فى آخر آية من الاصحاح السابع من رسالته الى اهل رومية بقوله « من ينقذنى من جسد هذا الموت ؟ العلاج « اشكر الله بربنا يسوع المسيح » رو ٧ : ٢٥

البحث الثاني

الاتحـاد

تمهيد : هذا الباب هو باب الجدل،وموضوع نقاش، بين الطوائف المسيحية التي تسير حتى آخر البحث الاول جنبا الى جنب ، متفقة متفاهمة ، غير انها لدى وصولها الى الاتحاد تفرقت مثنى وثـلاثا وقد سلكت كل منها طريقا خاصا،ومع كل ذلك فانها تلتقي عند نقطة واحدة وهى « الاله المتجسد » ولنا فى هذا البحث :

الفصل الاول

تحديد بعض التعابير اللاهوتية

الطبيعة : تطلق على ماهية الشيء (أى حقيقته) أو ذاته فقولنا الله اى الله ذاته .

الاقنوم : يطلق على قيام ذلك الشيء بذاته . أو بعبارة اوضـح ، الاقنوم جوهر روحى شخصى لطبيعة قابلة الاشتراك بكثيرين شأنه ان يقيمها بذاته ، ويحجز عن الاشتراك ، اى ان الاقنوم هو الذى يميـز الاشخاص من بعضهم ، يميز عيسو من اسحق ، واسحق من رفقة (علم اللاهوت لميخائيل مينا ج ١ ص ٣٢٤) والاقنوم أعم من الشخص فهو لفظة سريانية تعنى الجوهر المخصوص او الطبيعة المخصوصـة بخاصة ، فيتناول الخالق والمخلوق معا . اما الشخص فيتناول المخلوق فقط ، فاذا تخصصت الذات كانت اقنوما سواء كانت ذات البـارى او غيرها واذا تعينت الصفة كانت شخصا .

ذكـر العـلامة مـار غريغـوريوس ابـن العبـرى فى تعريف الاقنوم والطبيعة قال « فى عرفنا نحن الكنسيين أن كل جوهـر طبيعة وكل طبيعة جوهر ، لان الطبيعة عندنا لا تحمل على الاعراض ، لكن الاعراض قائمة فى الطبيعة . أما عند الخوارج فكل جوهر طبيعة، وليس كل طبيعة جوهر ، فالاعراض نفسها فى ذاتية طبيعتها عندهـم مختلفة عن بعضها . والطبيعة عندنا وعند الخـوارج ، اما عامـة واما خاصة . فالطبيعة الخاصة تسمى اقنوما وعليه فلا يمكن وجود طبيعـة بدون أقنوم فعلا انما فى الكينونة فقط . أما الاقانيم الكثيرة فليس من المستحيل ان توجد فى طبيعة عامة تجمعهم » .

الذات : هى كمال ما في الجوهر الواحد ، فهي لا تقـع على الاعراض ولا على الطبائع العامة لذا لا فرق بين الذات والاقنوم .

الشكل : هو الجزء الظاهر للجوهر الواحد الحي الذى تجتمع فيه الحواس الاربعة ، ويطابق بصورة خاصة على الانسان .

الخاصة : في عرفنا نحن الكنسيين الخاصة تتبع الطبيعة والاقنوم، أما عند الخوارج فتتبع الاجناس .

التركيب : اجتماع شيئين لبعضهما ، ويكون على اربعة انواع ١ ـ التركيب العرضى : كالعالم المحسوس المركب من كل شيء ٢ ـ التركيب الطبيعى : كالانسان المركب من نفس وجسد ٣ ـ التركيب الحقيقى كالبهيمة التى تتركب من اربعة عناصر ، وكالجسم المركب من المادةوالصورة ٤ ـ التركيب بالنعمة كالملاك المركب من الطبع والقداسة.

الاتحاد : الاتحاد عامة هو مصير شيئين أو أكثر شيئا واحدا ، أما الاتحاد فى علم اللاهوت فهو اجتماع يحصل بدون تغيير فى طبيعة الجوهر التى تكون متحدة أى لا يقبل فى ماهيته التغيير ولا الاستحالة ولا التفاسد كاتحاد النفس بالجسد ، والنار بالحديد والكهرباء بالسلك .

ويكون الاتحاد على نوعين ١ـ الاتحاد الطبيعى : كطبع اللاهوت الواحد فى ثلاثة أقانيم ، وكاتحاد النفس بالجسد فى الانسان الواحد ٢ ـ الاتحاد العرضى : كأتحاد الجسم من المادة والصورة ، ويدخل في دائرة هذا الاتحاد ، الاتحاد الارادى كسلطان الرسل وكرامتهم ، والاتحاد الحبى كاتحاد الصديق بصديقه والرجل بالامرأة .

والاتحاد بنوعيه الطبيعى والعرضى يشمل ثلاثة أنواع « النوع الاول : اتحاد الاجسام المحسوسة بعضها كالخمر بالماء . والنوع الثانى: اتحاد الامور البسيطة مع بعضها كالملائكة بالقداسة والنوع الثالث: اتحاد الاجسام المركبة بجواهر منزهة عن المادة وكثافتها كأتحاد الجسد بالنفس ، وأشعة الشمس بلطافة الجو ، دون أن تقبل فى اتحادها زيادة ، لان من خصائص اتحاد الجوهر الروحي بجوهر مادى أن يكون بلا زيادة وبدون اختلاط ، وبدون تبادل ، بعكس اتحاد الاجسام مع بعضها اذ ينتج من ذلك زيادة واختلاط واستحالة وفقد الخصائص.

الفصل الثاني

الاتحاد الاقنومي الطبيعي فى السيد المسيح بالنسبة الى التعابير اللاهوتية

كان للسيد المسيح طبيعة بشرية كاملة ، وأقنوم بشرى كامل . لان الطبيعة شىء والاقنوم شىء آخر كما علمنا . والاعتقاد بعدم وجود أقنوم بشرى للسيد المسيح نقص فى الناسوت كما كان للسيد المسيح أقنوم الهى وطبيعة الهية ايضا ، غير أن الاقنومين الالهى والبشرى اتحدا بالسيد المسيح فأصبحا أقنوما واحدا، وهذا ما نعني به «الاتحاد الاقنومي» والطبيعتين الالهية والانسانية اتحدتا أيضا فأصبحتا (طبيعة واحدة متجسدة) وهذا ما نعنى به (بالاتحاد الطبيعى) .

ملاحظة مهمة : (١) ليس كل اتحاد طبيعى يعنى اتحادا أقنوميا، مثلا الثالوث الاقدس طبع واحد ، ولكنه ثلاثة أقانيم ، الانسانية كلها طبع واحد ولكنها أقانيم كثيرة متعددة (٢) كل اتحاد أقنومى يقتضى له أتحاد فى الطبيعة ، مثلا النفس والجسد فى الانسان ، واللاهوت والناسوت فى المسيح متحدان اتحادا اقنوميا طبيعيا بدون امتزاج ولا أختلاط ولا استحالة .

حقا ان كيفية اتحاد اللاهوت بالناسوت أمر غامض جدا . لا يستوعبه العقل البشرى ابدا . واذا ما أردنا ادخاله فى احدى دوائر (انواع الاتحاد) نراه لا يدخل ، واذا صح ودخل فى أحد انواعه ، نراه لا يلبث ان يخرج بعيدا جدا بيد أننا بغية تقريب هذا الاتحاد الالهى

الشريف من أذهان البشرية التى تميل الى التشبيه بالمحسوسات ، نستطيع ان ندخله فى دائرة اتحاد الاجسام المركبة بالجواهر الروحية كاتحاد الجسد بالنفس ، فهو يدخل ضمن هذه الدائرة فقط • نظراً الى الاتحاد الطبيعى فيهما • فرغم الاختلاف الكبير فى جوهرى النفس والجسد فهما يتحدان اتحادا طبيعيا بدون اختلاط ولا امتزاج ، مع أحتفاظ كل منهما بخصائصه الطبيعية ، ويكونان اقنوما واحدا في الانسان • وبعد هذا يخرج من هذه الدائرة بعيدا جدا وذلك من وجوه كثيرة ١ ـ ان اللاهوت لا يتقيد بالناسوت المتحد به كما تتقيد النفس البشرية بالجسد المتحدة به ، بل يظل اللاهوت منزها عن المكان والزمان ٢ ـ ان أتحاد النفس بالجسد قابلة للتفكك والانفصال بحادث الموت • اما اتحاد اللاهوت بالناسوت فلا ينفصل ابدا ٣ ـ ان جوهرى النفس والجسد يتساويان اذ هما مخلوقان ومنحلان ، وحالة الواحد تؤثر فى الآخر ، فمثلا اذا ابتهجت النفس ، شعر الجسد بالانتعاش والنشاط ، وآذا أصيب الجسد بعلة ، شعرت النفس بالخمول والاكتئاب ، وليس الامر هكذا فى الاتحاد الحاصل فى السيد المسيح ، فجوهر اللاهوت هو الخالق ، أما جوهر الناسوت فمخلوق • كما أن حالة الناسوت لا تؤثر في اللاهوت • فالمسيح بناسوته جاع ومسح وعطش ، وتألم ، فهذه العوارض لا تؤثر فى الطبيعة الالهية ابدا • وهذا اسمى ذروة للاتحاد بغير امتزاج ولا اختلاط ولا استحالة •

الفصل الثالث

وحدة الاقنوم والطبيعة تاريخياً(١)

كان الاعتقاد بوحدة الاقنوم المركب ، وبطبيعة واحدة من طبيعتين للسيد المسيح بدون اختلاط ولا امتزاج ولا استحالة ، سائدا فى الكنيسة المسيحية طيلة القرون الاربعة الاولى • غير أن ذلك الاتحاد الاقنومى الطبيعى لم يعين بعبارات محدودة ، لذا كانت الطريقة رحبة لتفاوت التعبير فى هذا المعنى بين علماء الكنيسة مع حفظ وحدة التعليم وجوهره ، كما كان لكل من مدرستى الاسكندرية والانطاكية اللاهوتيتين الشهيرتين

(١) فى ٣٠ حزيران ١٩٥٩ نشر الاب زكى بشير عيواز سكرتير بطريركية انطاكية وسائر المشرق يومئذ (مطران بغداد والبصرة حاليا) محاضرة قيمة بعنوان «طبيعة واحدة لله الكلمة المتجسد» كان قد ألقاها فى مؤتمر عقد فى القدس فى ١٥ نيسان عام ١٩٥٩ • عالج فيها الموضوع من الناحية التاريخية خاصة ، مبينا عقيدة الكنيسة الجامعة فى القرون الاولى ، مؤيدا ذلك ببراهين تاريخية دامغة لا ترد • وقد نالت اعجاب الجميع • وتركت فى النفوس اثرا طيبا ، وذلك ان المستمعين آنذاك كانوا يظنون ان كنيستنا تعتقد كما اعتقد اوطاخى بطبيعة واحدة ، مختلطة ، وممتزجة ومستحالة فأفصح الاب المحاضر عن عقيدة الكنيسة الارثوذكسية السليمة ، عقيدة الكنيسة الجامعة فى القرون الاربعة الاولى ، بجلاء ووضوح ، ما حدا برئيس المؤتمر الدكتور فريدريك هاير استاذ اللاهوت فى الاكاديمية الالمانية ان يعلق على المحاضرة بالعبارة التالية « انها اذن لامانة فى عنق كل منا عند عودته الى بلاده ان يصلح التاريخ الخاطىء المجحف فى حق هذه الكنائس الارثوذكسية » •

آنئذ نهج خاص فى التعليم والتعبير كثيرا ما أصطدمتا معا فى تأدية المعنى الواحد • الامر الذى فتح باب للشقاق المسيحي المؤلم •

ففى القرن الخامس ظهر نسطور[1] بطريرك قسطنطينية، وابتدع تعليما غريبا زاعما « ان للسيد المسيح أقنومين وطبيعتين ، ولذلك فهو مسيحان أحدهما ابن الله والآخر ابن الانسان » وعلى أثر ذلك انعقد المجمع المسكونى الثالث فى مدينة افسس سنة ٤٣١ بأمر الامبراطور ثاودوسيوس الثانى وبرئاسة دعامة الارثوذكسية البطريرك مار كيرلس الاسكندرى ، وبحضور نحو ٢٠٠ أسقف شجبوا فيه بدعة نسطور النكراء وسفّهوا تعاليمه الفاسدة ، وحرموه وأعلنوا الايمان الحقيقى المقرر فى المجمعين النيقاوى ٣٢٥ والقسطنطينى ٣٨١ وأثبتوا أن للسيد المسيح اقنوما واحدا ، وطبيعة واحدة بعد الاتحاد بدون اختلاط ولا امتزاج ، وأذيع قرار المجلس المقدس ، وبناء على هذا القرار ايضا أمر الملك بنفى نسطور الى ديره ثم الى اووسا أخميم بصعيد مصر حيث قضى نحبه •

(١) كان نسطور سريانيا من مدينة جرمانيقى مرعش ولد سنة٣٧٨، تنسك فى دير على باب انطاكية يدعى دير اويريبيوس كان مباءة لطلاب العلم والنسك ، وفيه تعمق بالفلسفة والعلوم الدينية، واحرز الثقافة العالية « وزين نفسه بالسيرة النسكية الحميدة ، ثم اقيم قسا على كنيسة انطاكية • وكان خطيبا مصقعا يمتاز برخامة صوته وعذوبته • فذاع صيته وذهبت له شهرة طائلة. وفى ١٠ نيسان عام ٤٢٨ رسم بطريركا للقسطنطينية غير انه لم يلبث طويلا على ما كان عليه من سيرة حميدة بل غره الشيطان فسقط فى بدعته الوخيمة المعروفة •

غير أن بدعته ظلت بعد موته منتشرة فى الكنيسة وخاصة فى الشرق ، فقاومها الآباء الارثوذكسيون•ومن جملة المقاومين لها اوطاخى رئيس دير فى ضواحى القسطنطينية فبينما كان هذا يسفه هذه البدعة تطرف فى منهج التعبير فى سر التجسد فسقط هو الآخر فى بدعة أكثر شناعة منها اذ قال باستحالة الناسوت الى اللاهوت وخلط ومزج طبيعتي السيد المسيح ببعضهما ، وآل به الامر الى ان ينكر كون المسيح أتخذ ناسوتا حقيقيا من العذراء ، وبعد أخذ ورد انعقد على أثر ذلك مجمع أفسس الثانى سنة ٤٤٩ بأمر الملك ثاودوسيوس الثاني برئاسة البطريرك مار ديوسقوروس الاسكندرى وبحضور قرابة ١٣٠ أسقفا ، دعي اليه اوطاخى وسئل عن عقيدته فأعترف امام المجمع بالعقيدة الصحيحة ، وأيد قوله بأن قدم اعترافا مكتوبا بخط يده وبتوقيعه معلنا تمسكه بايمان المجامع الثلاثة المقدسة ، وجميع الآباء الارثوذكسيين السالفين ، حارما جميع الهراطقة مشهدا على ذلك السيد المسيح فأعلن الجميع اذ ذاك براءته • غير أن اوطاخى ، اذ كان يتلون فى رأيه ، عاد الى قيئه بعد ارفضاض المجمع الامر الذى دعا مار ديوسقوروس الى ان يعلن هذه في المجمع الخلقيدونى سنة ٤٥١ حكمه السديد قائلا « فأن كان اوطاخى يذهب بخلاف مذهب البيعة ، فهو لا يستحق العقاب فقط بل النار ايضا » وهكذا حين عاد الى ضلاله حرمته الكنيسة الارثوذكسية وفى عام ٤٥١ انعقد مجمع فى خلقيدونيا ، ماثل نسطور بالقول فى الطبيعتين لكنه خالفه بخصوص الاقنوم قائلا بأقنوم واحد ، ثم وضع صورة جديدة للايمان خلافا للايمان القويم ضم اليها طومس لاون الذى نبذ في مجمع

افسس الثانى ، والقائل بالطبيعتين بعد الاتحاد ، قاسما جسم المخلص الواحد اثنين • وهنا انشطرت الكنيسة الواحدة اثنين وما زالت غير أن الكنيسة الارثوذكسية الحريصة على جوهرة الايمان القويم عقدت عدة مجامع حرمت فيها تعاليم مجمع خلقيدونيا اخصها المجمع المسكونى الملتئم في القسطنطينية سنة ٤٧٦ بأمر الملك باسيليسكوس الذى نقض قرار المجمع الخلقيدونى معيدا العقيدة الاولى الصحيحة الى الكنيسة ، وفى اعقابه اعلن الملك ذلك القرار بمرسوم ملكى وقعه ٧٠٠ أسقف بينهم بطاركة انطاكية والاسكندرية واورشليم والمجمع الذى عقده فى القسطنطينية عام ٤٨٢ الملك زينون طابعا على غرار المجمع السابق • وفى السنة التالية أذاع زينون نقدا لقرار المجمع الخلقيدونى منشور الاتحاد « هنوطيقون » الشهير الذى ايدته الكنائس الشرقية كلها بما فيها بطاركة أنطاكية والاسكندرية والقسطنطينية واورشليم وتلتها مجامع أخرى بأمر الملك انسطاس في القسطنطينية وصيدا وانطاكية وصور بين سنة ٥٠٨ ـ ٥١٣ وكلها تضرب على وتيرة واحدة •

والشائع في أيامنا هذه ثلاثة انواع من الاعتقاد

اولا : اعتقاد باقنوم واحد ، وبطبيعة واحدة مركبة من طبيعتين للسيد المسيح ، وهو اعتقاد كنيستنا السريانية الانطاكية ، وشقيقاتها الكنائس الارثوذكسية ، الاسكندرية ، والارمنية ، والحبشية •

ثانيا : الاعتقاد بطبيعتين واقنومين ، وهو اعتقاد الكنيسة النسطورية الكاثوليكية واليونانية والبروتستانتية •

ثالثا : الاعتقاد بطبيعتين واقنومين ، وهو أعتقاد الكنيسة النسطورية وسنبين فى ما يستأنف اعتقاد كنيستنا بالاتحاد الاقنومى الطبيعى •

الفصل الرابع

الاتحـاد الاقنومي

الاتحاد الاقنومى هو ان الاقنوم الثانى من الثالوث الاقدس اخلى ذاته ، ونزل من السماء وحلّ فى احشاء العذراء وأخذ منها صورة عبد أى ناسوتا كاملا مثلنا ما عدا الخطيئة وكما يسميه الآب فى سفر اشعيا « عبدى البار » متحدا بها اتحادا حقيقيا تألف منه اقنوم واحد ، وكقول يوحنا « الكلمة صار جسدا »

ان فى الاخلاء والاخذ سرا عميقا ، ومعنى دقيقا غاص في اعماقه اللاهوتى مار فيلكسينوس المنبجى ، فاستوعبه على قدر الامكان ، وخرج بنتيجة لاهوتية جعلت حجرة الاساس في صرح التعبير عن الاتحاد الاقنومى الطبيعى •

تأمل فى لفظتى « اخلى » و « أخذ » الواردتين فى قول الرسول بولس « الذى اذ كان في صورة الله لم يحسب خلسة ان يكون معادلا لله ، لكنه « أخلى » نفسه « آخذا » صورة عبد صائرا في شبه الناس » فى ٢ : ١٦ ـ ١٧ تينك الكلمتان المقترنتان ببعضهما بالترتيب «الاخلاء» السابقة و « الاخذ » اللاحقة • أن الاخلاء وجب الاسبقية لانه هو الاساس فى الحدث العجيب ، اذ يعطيه معناه الحقيقى ويوطد دعامة الاتحاد الاقنومى بوضوح ، اجل ان مفاهيم السر العجيب دفينة فى لفظة « الاخلاء » •

لولا الأخلاء لما حدث « سر » ولما كان فى الامر «اعجوبة» بل لما تم الخلاص وعرف البشر قوة الله وصفاته • لو كان الله قد « أخذ جسدا » فقط دون الاخلاء ، لكان الحدث أمرا طبيعيا مألوفا يجرى فى أوقات معينة وبصورة مستمرة لقد سبق الله في غير هذه المرة أيضا فاجرى عمل «الأخذ» لقد اخذ من البدء آدم من الارض ، واخذ ايضا ضلعا منه وعمل حواء ، وبعد هذا أخذ عددا من الانبياء والمرسلين لاتمام مقاصده تعالى كموسى النبى ويشوع بن نون ، وداود ، وارميا ، واشعيا ، ويوحنا المعمدان وغيرهم • وقيل عنهم جميعا انه « اخذهم » وسخرهم لاتمام مقاصده • فقد قدس ارمياء واختاره من البطن ، وملأ يوحنا من الروح القدس وهو ابن ستة اشهر وفى احشاء أمه وكذلك اختار الرسل من قبل انشاء العالم كما قال «ليس انتم اخترتمونى بل انا اخترتكم » ومعنى الاختيار هنا هو «الاخذ» لا بل انه أخذ جميع المسيحيين فاتحدوا به كقوله « انا الكرمة الحقيقية وانتم الاغصان» وفي جميع خطوات هذا الاخذ لم يقل «صار الكلمة جسدا» او «اخلى الله ذاته» وهنا لا يفوتنا ان نستعرض الرأى الفاسد القائل « ان الكلمة أخذ جسدا بعد ان كون فى احشاء البتول وحل فيه» لو كان المسيح قد اخذ جسدا مثل هذه الوسيلة وعلى هذه الطريقة لما كان الامر عجبا ، ولما استوجب تسميته سرا وانه بمجرد ولادته من العذراء بدون زواج ما كان ليكسب الحادث اهمية ودهشة ، ذلك ان آدم وحواء ايضا صارا من غير زواج ، واسحق ويوحنا المعمدان ولدا من عواقر « لا بل ان هذه الفكرة هى حلقة فى سلسلة «الاخذ» المار شرحه •

بعد هذا ينجلى نوعا ما السر العميق الدقيق الدفين فى لفظة «الاخلاء» •

١ - ان آدم وحواء والانبياء والرسل لم يسبق «اخذهم» «اخلاء» أما عندما أخذ الله صورة عبد فى احشاء البتول سبقه « اخلاء » اجل اقد اخلى الله ذاته اولا ثم أخذ صورة عبد ، أى ان الله تعالى هو ذاته اتخذ جسدا ، وصار انسانا •

٢ - ان «الاخذ» بحسب المعاني المار ذكرها لا يدعى «سرا» ولا « اعجوبة » ولا يظهر فيه تنازل الله الكامل ، ومحبته الكثيرة ، وقوته اللامتناهية • أما «الاخذ» الذى نحن بصدده فمسبوق «بالاخلاء» لذا حق للامر أن يدعى «سرا» والحادث اعجوبة وفيه ظهر تنازل الله فى اقصى حدوده اذ اخلى نفسه وفيه تجلت قوته اللامتناهية • لا شك فى ان الله قوى جدا ، خلق فى لحظة واحدة من العدم عالما واسعا كبيرا، غير ان ذلك لم يكن دليلا على قوته ، لانه لو شاء لقدر ان يخلق عدة عوالم أخرى بأقل من لحظة واحدة ، أما هنا فاذ تمكن ان يخلى نفسه ويصير انسانا بدون تغيير ، فهذه قوة ليس بعدها قوة ، كما اعلن الله ايضا الى جانب قوته وتنازله ومحبته الكاملة للبشر اذ تجسد ومات فى سبيلهم كقوله تعالى (ليس حب اعظم من هذا ان يموت انسان من أجل احبائه) •

٣ - ان الاخذ بمعانيه المار شرحها ، الخالى من «الاخلاء» ويسمى «اتباعا» او «حلولا» او «سكنى» فلا يقال عنه «ان الله صار جسدا» أما

هنا فالاخذ يدعي تجسدا لذلك حقّ ليوحنا الانجيلي ان يقول «الكلمة صار جسدا» .

٤ ــ ان الاخذ بحسب تلك المعاني يقال عنه اتحاد ارادي أمــا الاخذ المقصود فصار فيه الاتحاد اقنوميا[1] .

وبعد هذا نقول ، حقا اتحد اللاهوت بالناسوت اتحادا اقنوميــا ، فصار اقنوما واحدا مركبا من اقنومين وذلك بأقل من طرفة عين كمــا اسلفنا ، ودون ان يكون بين الاخلاء والاخذ زمن ما . كما لا يمــكن تصور حلول اللاهوت في احشاء العذراء دون وجود الناسوت ، ولا تصور وجود الناسوت فيها دون حلول اللاهوت ، وذلك اشبه بميــلاده الازلي من الآب ، اذ لايمكن تصور وجود الاب الوالــد بدون الابن المولود ، ولا تصور وجود الابن المولود بدون الاب الوالد .

ان نوع هذا الاتحاد اشبه باتحاد النار بالحديد ، والنفس بالجسد كما علمنا اجل اتحد اللاهوت بالناسوت فصار اقنوما واحدا في صورة واحدة ، وشكل واحد ، وفرصوف واحد ، يؤيده الكتاب ، ويقــره المنطق ويثبته التقليد فالكتاب المقدس يشير الى السيد المسيح كاقنوم واحد

(١) لو كان اتحاد الكلمة بالناسوت على زعم بعضهم ، للزم ان يطلق الاتحاد نفسه على الآب والروح القدس ايضا ، ويقال عنهما (نزلا من السماء ، وتجسدا من الروح القدس ومن مريم العذراء) كما وجب ان يتحد الثالوث الاقدس بالابرار والصالحين ايضــا ، وبالتالي لما تسنى ليوحنا الرسول ان يقول « الكلمة صــار جسدا » فالاتحاد الارادي استعاري يطلق من باب المجاز امــا أتحاد الكلمة بالناسوت فهو فعلي حقيقي اقنومي .

فقط ، قال بطرس الرسول « انت هو المسيح ابن الله الحي » لا (اثنما) مشيرا بذلك الى وحدة الاقنوم المركب . وقال بولس الرسول « لمــا جاء ملء الزمان ارسل الله ابنه مولودا من امرأة ، مولودا تحت الناموس» فالذي ارسل في قول بولس هو ذاته ولد من امرأة ولف بالاقمطة ورضع الحليب ، ونما بالحكمة والقامة ، بل هو ذاته خضع للناموس ، وختن في اليوم الثامن ، وقدم قرابين بعد ٤٠ يوما الخ . ولا يمكن الفصــل ما بين الذي ارسل والذي ولد وخضع للناموس . فالرسول اذن عنى بالمولود من امرأة الابن نفسه لا انسانا آخر .

واذا نظرنا الى الامر من الوجهة المنطقية الفلسفية ، رأيناه ايضا اقنوما واحدا بدليل ان للسيد المسيح فرصوفا واحدا أي شكل فمــن البديهي ان يكون له اقنوما واحدا ايضا ، فلو كان المسيح اقنومــان لا اقنوم واحد على زعم بعضهم ، فالى أي من الاقنومين يعزى ذلــك الفرصوف الواحد ؟ ألى الالهي ؟ أم لمبشري؟ فأذا عزى الى واحد دون الآخر بقي الثاني بدون شكل ، واذا عزى الى الاثنين معــا ، استلزم تجزئته اثنين أي لكل اقنوم نصف شكل ، واذا سلب عن كليهمــا ، استوجب وجود اقنوم ثالث يقوم به ذلك الشكل ، والافتراضات الثلاثة باطلة ومنقوضة ، فللمسيح اذن اقنوم واحد في شكل واحد . وبنتيجة هذا الاتحاد الاقنومي جاز أن تطلق عليه الالفاظ البشرية الوضيعــة كالاكل والشرب والصلب والموت الى جانب الالفاظ الالهية الرفيعــة كالازلية والوجود في كل مكان الخ . وكلا نوعي الالفاظ البشــرية والالهية تطلق على الاله المتجسد ذي الاقنوم الواحد المركب ، فيقــال

هذا الاله هو انسان ، وهذا الانسان هو الله • وتقريبا الى الفهم نـدرج باختصار بعض الامثلة التى اوردها العلامة اللاهـوتى مار غريغوريوس ابن العبرى مفريان المشرق فى موسوعته اللاهوتية «منارة الاقداس» •

اولا : بما ان الانسان حيوان ناطق ، فيجوز ان يقال عنه : هـذا الحيوان ناطق وهذا الناطق حيوان •

ثانيا : اعتادت الكتب المقدسة أن تنسب غالب الاحيان القتل والموت الى النفس لاتحادها بالجسد القابل القتل والموت ، كما جاء فى سـفر العدد « الذى قتل نفسا سهوا » عد ٣٥ : ١١ و١٢ • وقيل عن يوسف «آذوا بالقيد رجليه فى الحديد دخلت نفسه » مز ١٠٥ : ١٨ •

ثالثا : ان المركب من اثنين ، فكل ما ينسب الى جزء منه ينسب الى الجزء الآخر ايضا ، كما هو مبين في المثالين السابقين •

الفصل الخامس

الاتحـاد الطبيعي

تعتقد الكنيسة السريانية الانطاكية اقتداء بالآباء القديسين ، واعتمادا على ما جاء فى دساتير ايمان المجامع المسكونية الثلاثة المقدسة ، فى نيقيا وقسطنطينية وافسس ، بأن فى الاله المتجسد طبيعتين ، الهية وانسانية، مختلفتين فى جوهريهما اتحدتا اتحادا طبيعيا واصبحتا بعده طبيعـة واحدة مركبة من طبيعتين ، بدون تبلبل وامتـزاج او أختلاط أو استحالة ، اذ بقيت كل منهما محتفظة بخصائصها ، فالطبيعة الالهيـة لم تقيدها تلك البشرية فى مكان أو زمان بل ظلت كما كـانت في السماء والارض وفى كل مكان كما ان الطبيعة البشرية لم تستحل الى تلك الالهية كما سنعلم • وهكذا فان المسيح الواحد كله ألـه تام ، وكله انسان تام ، والصفات سواء كانت الهية ام بشرية تنسب الى كله دون فصل • وذلك كله يتم بعمل الهي يفوق العقل والادراك •

ولنستعرض الآن بعض البراهين المنطقية التى تؤيد صحة هـذه العقيـدة :

اولا : بما ان للسيد المسيح أقنوما واحدا مركبا من أقنومين ، فمن البديهى ايضا ان يكون له طبيعة واحدة مركبـة من طبيعتين ، لان أقنومه ليس شيئا آخر سوى طبيعته المشكلة • ان وجود طبيعة بدون أقنوم لا يمكن بالفعل بل بالعقل فقط كالاجناس والانواع العمومية ، فأذا كانت الطبيعتان موجودتين بالفعل ، فمن الضرورة ان يكون لهمـا أقنومان وهذا محال •

ثانيا : اذا كان للمسيح أقنوم واحد ، وطبيعتان منفصلتان غير متحدتين فلأى منهما يعزى الاقنوم الواحد ؟ فاذا عزى الى طبيعة واحدة فقط ، بقيت الاخرى بدون اقنوم • واذا عزى الى كلتا الطبيعتين معا وجب ان يجزأ نصفين لكل طبيعة نصف اقنوم ، واذا سلب من كليهما ، أستوجب من ثم طبيعة ثالثة يقوم بها الاقنوم • والافتراضات الثلاثة باطلة فللمسيح اذن أقنوم واحد مركب فى طبيعة واحدة مركبة •

ثالثا : لو جاز تعدد الطبائع بعد الاتحاد ، منفصلة عن بعضها ، لتجاوزت الاثنتين فهنالك طبيعة للاهوت ، وطبيعة للناسوت ، وطبيعة لكل عنصر من عناصر الجسد الاربعة ، اى أن للنار طبيعة ، وللهواء طبيعة ، وللتراب طبيعة ، وللماء طبيعة وهذا غير معقول •

اعتراضات الخصوم : نورد هنا ثلاثة اعتراضات فقط على وحدة الطبيعة ونرد عليها :

١ ــ ان جوهرى النفس والجسد بما انهما مخلوقان وحادثان هما طبيعة واحدة فى الانسان ، اما جوهرا اللاهوت والناسوت ، فبما انهما يختلفان اذ أحدهما خالق أزلى ، والثانى مخلوق محدث فلا يمكن ان ندعوهما طبيعة واحدة •

الرد : ان وحدة الطبيعتين فى جوهرى النفس والجسد مبنية على اتحادهما فى الانسان لا على مشاركتهما فى الحدثان ، لانه لو كانت وحدة الطبائع مبنية على المشاركة فى الجواهر ، لكانت النفس والملائكة والشياطين طبيعة واحدة •

فللاهوت والناسوت اذن طبيعة واحدة مركبة باتحادهما فى أقنوم واحد فى السيد المسيح •

٢ ــ ان احتفاظ الطبيعتين بخصائصهما وعلاماتهما برهان على وجود طبيعتين منفصلتين •

الرد : ان خصائص الطبيعتين فى انسان ايضا محفوظتان فى النفس والجسد ومع هذا فللانسان طبيعة واحدة •

٣ ــ ارنى ناسوتا بدون طبيعة ؟

الرد : ارنى ناسوتا بدون اقنوم ؟

الفصل السادس

الاتحاد الاقنومي الطبيعي

بدون تغيير ، أو استحالة ، أو أمتزاج او تبلبل

علمنا سابقا ، ان اللاهوت اتحد بالناسوت اتحادا أقنوميا طبيعيا . غير أن هذا الاتحاد لا يعنى تغيرا فى الجوهر ، ولا يفترض امتزاجا أو تبلبلا أو اختلاطا فى الطبيعتين لانه عبارة عن اجتماع الطبائع بعضها دون تغيير نظير اتحاد النفس بالجسد اذ لم تستحل فيه النفس الى كيان الجسد وبالعكس ، ولله درّ القديس مار سويريوس الانطاكى القائل « ان الاتحاد الاقنومى الطبيعى رفع الانقسام فقط ، واعلن الاتحاد الذى لا ينفصم ابدا » .

والاعجب من ذلك ، ان السر الغامض الدفين في الاتحاد الاقنومى الطبيعى تم فعلا بدون تغيير أو امتزاج أو اختلاط ، اى مع اتحاد الطبيعتين بعضهما فقد احتفظت كل منهما بخصائصها .

اولا : ان الطبيعة الالهية لم تتحول الى الطبيعة الناسوتية او تمتزج بها أو تختلط معها او تتغير لاتحادها بها . لان هذه الامور هى من خصائص الاجسام واعراضها والطبيعة الالهية روح محض منزه عن التركيب ليست جسما ولا عرضا ، فمن المستحيل ان تمتزج او تختلط أو تتغير . ثم أن الاشياء التى تمتزج ببعضها يكون بعضها فاعلا وبعضها منفعلا وبالعكس لان ما لا ينفعل لا يتغير ولا يمتزج ، والطبيعة الالهية تسامى عن الانفعال ، لذلك لا تمتزج بآخر . وبالتالى يتضح لنا ان

عدم التغيير والامتزاج والاختلاط هى من خصائص الطبيعة الالهية التى بقيت محتفظة بعدم قبولها لها .

ثانيا : ان الطبيعة البشرية لم تتحول الى الطبيعة الالهية ولم تختلط أو تمتزج بها بل ظلت هى الاخرى ايضا محتفظة بخصائصها كالحصر ، والحساسية ، وقبول العوارض الطبيعية كالجوع ، والعطش والآلام والموت والفساد[1] ويجب ان نعلم ان هذا الناسوت المقدس وان احرز شيئا من صفات الكلمة بأتحاده به ، كالغلبة على العالم وعدم الانغلاب من اهواء الدنيا ، وعدم ميله الى شيء من الخطأ كما انه ولئن اصبح بعد القيامة غير متألم أو فاسد أو مائت أو مفتقر الى غذاء الا انه لم يحرز كل ما للطبيعة الالهية الروحانية البسيطة ، اذ ما زال مخلوقا ومنظورا وزمنيا ، وغير مساو للكلمة بالرغم من اتحاده به وصيرورته معه واحدا .

(١) جاء الفساد فى الكتاب المقدس على جملة احوال ١ – فساد الخطية ٢ – القصاص الناتج عن الخطية كقول الرسول من يفسد هيكل الله –اى بالخطية – يفسده الله اى يقاصصه ٣ – التقشف كقوله تعالى « ينيرون وجوههم ليظهروا للناس انهم صائمون ٤ – انحطاط الجسم بالعوارض الطبيعية كالجوع والعطش كقول الرسول « وان كان انساننا الخارجى يفسد اما الداخل يتجدد يوما فيوما » ٥ – الموت الطبيعى وهو انفصال النفس عن الجسد ، كأنحلال عناصر الجسد عن بعضها كقوله « كيف لم تخف ان تفسد مسيح الرب ؟ » . فالفساد الذى ينسبه الآباء الى الجسد المقدس قبل موته وقيامته لا يناسب كل تلك الاحوال لانه منزه عن الخطية بل قصر الفساد على سحنته بسبب الجوع والعطش والتعب والشعور بألم تسمير يديه ورجليه ، وطعن جنبه ، وهو ما يسميه الآباء « الاهواء البريئة » .

ثالثا : لم يتكون من اتحادهما معا كائن جديد تختلف خصائصه عن خصائص اللاهوت والناسوت ، لان ذلك الاتحاد تم بدون تغيير أو أمتزاج أو اختلاط لذلك دعي «سر التجسد» فلو تم بالاختلاط والامتزاج والتغيير لجاء امرا اعتياديا طبيعيا لا غرابة فيه ولا عجب . قال أحد آباء الكنيسة « ان قول يوحنا الرسول صار جسدا يعنى الاتحاد وقول الرسول بولس أخذ جسدا يعنى عدم التغيير والاختلاط والامتزاج » .

رابعا : ان هذا الاتحاد هو دائم ، بدؤه من احشاء العذراء وسيبقى أبديا سرمديا ، لا يفترقان عن بعضهما مطلقا كما سنعلم في البحث عن الآلام والموت . ولكى نقرب الى الاذهان كيفية هذا الاتحاد الحاصل بدون تغيير أو اختلاط أو امتزاج نأتى بالمثلين التاليين :

١ ـ اتحاد النفس بالجسد : مع كونهما يختلفان بجوهريهما ، فهما متحدان بالانسان بأقنوم واحد وطبيعة واحدة ، مع احتفاظ كل منهما بخصائصه الطبيعية .

٢ ـ قال الرسول بولس « كونوا قارنين الروحيات بالروحيات » وبناء على هذا القول جاء اللاهوتى الاكبر مار فيلكسينوس المنبجي ـ حامى ذمار الارثوذكسية ـ بتشبيه روحي صرف مؤيدا الاتحاد الاقنومى الطبيعي الحاصل بدون تغيير ولا اختلاط ولا امتزاج . ذاك هو الميلاد الثانى من حميم المعمودية قال « ان اتحاد اللاهوت بالناسوت كان على الشكل التالى: ان الانسان القديم بنزوله الى المعمودية وخروجه، لا يأخذ انسانا آخر بل هو نفسه يصبح انسانا جديدا بواسطة حلول

الروح القدس وعندما يخلق بهذه الصورة يولد من جديد ميلادا ثانيا، فنفس الانسان الذى كان جسديا صار روحانيا ولا يعد اثنين الواحد روحي والآخر جسدى بل واحد فقط ، كان جسديا فصار روحانيا ، هكذا والاله الكلمة ايضا لقد حل فى احشاء العذراء واتخذ منها جسدا ، وصار انسانا دون ان يتغير ، محتفظا بالوهته ، كما صار الانسان القديم ابنا دون ان يفقد طبيعته الانسانية . وان صيرورة الكلمة انسانا لم تأت نتيجة تغير ما ، بل لاخذه جسدا من البتول . وكما ان الانسان الطبيعي بأخذه الروح القدس اثناء العماد يصبح ابنا لله ، هكذا ابن الله ايضا بأخذه جسدا عن طريق الحبل به ، صار انسانا فى البتول بدون تغيير . وكما ان الانسان الجسدى يصبح روحانيا بواسطة المعمودية، كذلك فى أحشاء البتول صار الروحانى جسديا وكما يبقى الانسان محتفظا بهيئته الطبيعية الاولى بعد المعمودية ، هكذا ايضا بقى الاله بطبعه ولم يتغير حيث صار انسانا وكما ان الانسان لا يحسب اثنين عندما يصبح ابنا لله بالمعمودية ، كذلك المسيح ايضا لا يعد اثنين لكونه صار انسانا ، وكما ان الانسان عند نزوله الى حميم المعمودية يعرف انسانافقط،وبعد خروجه وتجديده هو هو ذاته «الابن بالنعمة والانسان الطبيعي » أى واحد لا اثنان كذلك الاله الكلمة ايضا عندما حل فى احشاء البتول حل الهاً محضاً بدون جسد ، وبعد ان أخلى ذاته ، أخذ منها جسدا وصار أنسانا بدون تغيير وهو واحد لا اثنان ، وكما ان الذى يولد من المعمودية يبقى محتفظا بنوته الجسدية من الامرأة ، كذلك السيد المسيح ايضا ولد من العذراء ولادة جسدية ، وبقى محتفظا بنوته الازلية التى من الآب » .

البحث الثالث

نظرة الكنيسة الى الآلام والصلب والموت

الفصل الاول

نظرة الكنيسة الى الموت اجمالاً

ان اهم شيء في سر التجسد وفي مقدمة العقائد المسيحية ، هــو تألم السيد المسيح وموته مصلوبا • واذ هو هكذا من الاهمية في الذروة العليا ، لذلك ترى فيه الكنيسة المسيحية منذ ولادتها وحتى الآن ، كل ايمانها • وقد جعلته حجر الاساس لا بل اعظم واقوى ركن في قانون ايمانها • فليس الصليب لديها مجرد رمز وشعار فحسب ، بل هو رسالتها العامة ، ولذلك فان معظم الاسرار التي تمارسها تشير الى موت المسيح كالمعمودية والاوخارستيا مثلا ، وكفى بهذا دليلا على أهمية هذا الحدث ، واحتلاله المكانة الاولى في النصرانية ، منذ فجر الكنيسة حتى الآن •

لقد خصصت الاناجيل الاربعة لمأساة الصليب ، وموت الســيد المسيح اكثر مما خصصته لاي مشهد آخر من حياته • وبرهن سفر أعمال الرسل على ان بشارة الرسل كانت ترتكز على هذه المأســاة بالذات ، كما يظهر خاصة من مواعظ مار بطرس الرسول ، ومــار اسطيفانوس بكر الشهداء • أما رسائل بولس الرسول فكلها تــدور

حول هذا المحور نفسه حتى اننا نرتبك لكثرة القرائن ووفــرة البراهين الدالة على ذلك • ونرى من تصريحاته ان اول ما استلم وسلم من البشارة كان موت المسيح مصلوبا قال « انني سلمت اليكم في الاول ما قبلته أنا ايضاً ، ان المسيح مات مصلوبا من اجل خطايانا حســب الكتب » ١ كو ١٥:٣ وقال ايضا « لم أعزم أن اعرف شيئا بينكــم الا يسوع واياه مصلوبا » ١ كو ٢:٢ •

وهكذا نرى لدى الانجيليين والرسل ، بل حتى الانبياء في العهــد القديم أن موت المسيح اهم من كل حدث آخر • فالجلجلة عندهم اهم من المغارة ، واورشليم أروع من بيت لحم ، والخشبة اقــدس من المذود ، والمسامير في يديه ورجليه أكثر جلالا من الاقمطة ، والخــل والمرارة أعمق سرا من الحليب ، وتشقق الصخور ، واظلام الشمس ، وتفتح القبور وغير ذلك مما رافق الصليب اعظم شأنا من النجم ، ومن ظهور أجواق الملائكة المرنمة ، وقوله « قد اكمل » و « يا ابتاه في يديك أستودع روحي » اعمق معنى من « هلم لنكمل كل بر » • وشــهادة الجموع « حقا كان هذا ابن الله » ابلغ من شهادة المجوس •

لا شك في ان الاخــلاء تنازل في اقصى حــدوده • والولادة من العذراء عمل خارق وعفة • والعماد من يد عبده يوحنا تواضــع غريب • بيد ان الموت على الصليب « محبة كاملة » والمحبة اعظم من الكل • ان الله هو المحبة كما دعي ولكنه ليس العفة ولا التنــازل ولا التواضع •

هكذا كان ولا يزال لصلب المسيح ، وموته ، اهمية كبرى بالنسبة الى الكنيسة . الامر الذى جعلته موضع فخرها واعتزازها ، اذ ترى فيه مجد الله بالذات قال القديس مار يعقوب السروجى « لا يخجل ابن الله لانه ذاق الموت بل يتمجد ان الكنيسة عروسه فخورة بموته ، وهى تحمل انباء آلامه وصلبه وموته الى اقصى الارض بفخر واعتزاز » . وقال مار اسحق الانطاكي ان « فخر الكنيسة هو ان الله مات مصلوبا » .

الفصل الثاني

موت المسيح حقق غايات التجسد

تعتقد الكنيسة بأن الاله المتجسد نفسه تألم وذاق الموت على الصليب بناسوته وبنتيجة ذلك تحققت غايات التجسد المار ذكرها ، وكملت الاهداف التى جاء المسيح من اجلها .

ان موت المسيح على الصليب ، كان المعركة الفاصلة الحاسمة ما بينه وبين قوى مملكة الظلمة التى يرأسها الشيطان ، وتتحكم فيها الخطية ، ويسودها الموت ، لقد قضى على الموت بموته عندما نزل الى الهاوية ، وكسر اقفالها ، وقامت اجساد كثيرين فحق للرسول بولس ان يقول « اين شوكتك يا موت واين غلبتك يا هاوية » ١ كو١٥:٤ وقال الرسول بطرس « الذى فيه ايضا ذهب فكرز للارواح التى فى السجن » ١ بط ١٩:٣ . كما انه غلب الشيطان عندما قال « الآن دينونة هذا العالم ، الآن يطرح رئيس هذا العالم ، الآن يطرح رئيس هذا العالم خارجا » يو ٣١:١٢ كما انه قضى على الخطية كقول الكتاب « هو نفسه حمل خطايانا فى جسده على الخشبة كي نموت عن الخطايا فنحيا للبر الذى بجلدته شفيتم » أ بط ٢١:٢-٢٤ «الذى احبنا وغسلنا من خطايانا بدمه » رؤ ٥:١

ان المجاهد الغالب يجب ان يبرز اسلحته وقوته ، وحيث ان السيد المسيح جاء لاعلان حرب ضد اعداء البشرية الثلاثة ، الشيطان

والخطية والموت ، فقوته البارزة كانت الصليب ، وبواسطة الصليب قضى على اولئك الاعداء ، لذلك قال بولس الرسول «ان كلمة الصليب عند الهالكين جهالة ، واما عندنا نحن المخلصين فهى قوة الله » أكو ١ : ٧ . وهكذا نقض السيد المسيح مملكة الظلمة ، ودك حصون هاويتها ، واطلق سجينها الانسان ، واسس بدلا منها مملكة عجيبة لاحد لها ولا انقضاء ، ترفرف فوق حصونها راية الصليب .

هذه كانت غاية التجسد القصوى ، فكان الصليب النور الكشاف الذى اعلن أن المعلق عليه هو الله ، فأعترفت به الجميع قائلة « حقا كان هذا ابن الله » كما تجلت صفات الاله المتجسد المصلوب ، كالصفح العجيب والغفران الغريب .

× × ×

الفصل الثالث

كيف تألم الاله المتجسد

علمنا فيما مضى ان طبيعتين ، الهية كاملة ، وبشرية كاملة ، قد اجتمعتا فى شخص فادينا ، واصبحتا طبيعة واحدة مركبة ، مع بقاء خواص كل منهما ، أى دون ان تمتزجا او تختلطا أو تستحيلا . وقد جاء اتحادهما هذا وثيقا ومحكما ودائميا ، حتى أنه من اللحظة الاولى التى صار فيها الكلمة جسدا فى رحم السيدة مريم العذراء لا يمكن ان يفكر به كاله من دون ذلك الذى هو انسان ، او كانسان من دون ذلك الذى هو اله . وكل من تينك الطبيعتين تشهد لحقيقتها بأعمال خاصة دون ان تفصل نفسها عن الاخرى ، لان الاتحاد الحاصل بينهما غير قابل الانفصال والتفكك

وعرفنا ايضا أنه كنتيجة لذلك الاتحاد الاقنومى الطبيعي العجيب، جاز أن تطلق على الاله المتجسد الواحد الالفاظ البشرية الوضيعة كالاكل والشرب والآلام الى جانب الالفاظ الالهية الرفيعة فنقول مثلا ان الاله المتجسد أكل وشرب واجترح المعجزات ، وقام من القبر،وصعد الى السماء وهو ابن الله وابن البشر ،وقد أيدنا ذلك ببراهين وقلنا أن المركب من اثنين ، كل ما ينسب لجزء منه ينسب للجزء الآخر ايضا . وهنا نقول : ان الاله المتجسد تألم بطبيعته البشرية ، لان الآلام والموت هى من خصائصها ، اما الطبيعة الالهية فلا تقبل هذه الامور ولا تتأثر بها

ولكن لكونها متحدة بالطبيعة البشرية اتحادا محكما غير قابل التفكك والانفصال حقّ ان تنسب الآلام والموت الى كلتيهما معا • فيقال مات الاله المتجسد • وذلك كما نسبت البنوة الازلية الى الاله المتجسد في قول بطرس الرسول « انت هو المسيح ابن الله الحى » وقد مرّ معنا شرح هذا • وزيادة فى الايضاح نورد المثلين التاليين :

اولا : الحديد المحمى بالنار ، عندما يطرق عليه الحداد ، تقع الضربة على الحديد لا على النار مع كونها متحدة بالحديد لا منفصلة في أثناء الضرب • او كالشجرة التى اشرقت عليها الشمس فاذا نشرت والشمس عليها ، يقع النشر على الخشب لا على الشمس •

ثانيا : اذا تأملنا الشهداء القديسين وهم يعرضون للالام والتعذيب، أتضح لنا ان النفس المتحدة بالجسد لا تتعذب بتعذيبه كقوله له المجد « لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد ، لانهم لا يستطيعوا ان يقتلوا النفس » فهل تحرم الاكليل لعدم تعذبها مع الجسد ؟ طبعا لا • ذلك انها وان لم تقع عليها الآلام لروحانيتها فلكونها متحدة بالجسد تألمت معه بالشعور ، فنسبت تلك الآلام الى الانسان المتحدة فيه النفس والجسد •

وهكذا ايضا فى آلام السيد المسيح ، مع كون الطبيعة البشرية وحدها تألمت ، فقد نسبت الآلام والموت والصلب الى الاله المتجسد المتحدة فيه هاتان الطبيعتان •

ان الذى تألم وصلب لم يكن انسانا محضا ، بل الها متجسدا كما ايد الرسول بولس « لان لو عرفوا نعمته لما صلبوا رب المجد » ا كو ٢:

٨ • ان الذى كان منظورا على الصليب هو ابن الانسان – الناسوت – ولكن الرسول يسميه « رب المجد » اى التسمية التى لا يمكن اطلاقها على انسان بسيط • فرب المجد المعنى به هو الاله المتجسد الواحد فى طبيعته • قال احد العلماء « يجب ان نفهم من قول الرسول عن اليهود أنهم صلبوا رب المجد ، ان كل شخصية المسيح الذى هو رب المجد قد صلب حقا ، ولكن لا فى الطبيعة التى دعي بسببها رب المجد • كذلك يجب ان نفهم انه عندما يقرر ابن الانسان ، وهو على الارض ، ان ابن الانسان كان فى تلك اللحظة فى السماء » يو ٣ : ١٣ ان معنى ابن الانسان هو بالضرورة كل شخصية المسيح الذى وهو على الارض كان يملأ بمجده السماء ، ولكن لا فى الطبيعة التي سمى بها ابن الانسان •

قال الرسول بولس ايضا « احترزوا اذن لانفسكم ، ولجميع الرعية التى اقامكم الروح القدس فيها اساقفة لترعوا كنيسة الله التى اقتناها بدمه » ا ع ٢٠ : ٢٨ فهل المقصود هنا هو دم الله ؟ فالله روح ، والروح ليس له لحم ودم ، انه دم الاله المتجسد • وذكر صاحب الرؤيا قول السيد المسيح « انا هو الاول والآخر ، الحى وكنت ميتا ، وها انا حى الى ابد الآبدين » ر ؤ ١ : ١٧ فالمتحدث هنا هو اللاهوت الازلى الابدى • ولكنه يقول ايضا « كنت ميتا » مشيرا بذلك الى وحدة الطبيعة المركبة • فالحى الذى مات كان الاله المتجسد • وقال الرسول بولس ايضا « لان الله [1] نفسه بنعمته ذاق الموت لاجل كل واحد ، لانه لاق بذاك الذى من اجله الكل ، وبه الكل وهو آت بابناء كثيرين الى المجد

(١) بحسب النسخة السريانية

ان يكمل رئيس خلاصهم بالايمان » عب٢:٩ و ١٠ فالرسول هنا لم يفرق بين اللاهوت والناسوت ، بل عزا كلمة الموت الى الاله المتجسد كله •

ان عقيدة الكفارة المسيحية مبنية على اساس عقيدة لاهوت المسيح فأيماننا بالثانية يعين يقيننا بالاولى • اذ لا يستطيع الانسان المجرد أن يحمل قصاص خطية انسان آخر ولا موت انسان محض ان يعطى فداء للبشرية • فلو صلب اليهود انسانا بحتا لما رافقتهم اللعنة في كل اجيالهم• ولما انكر نسطور تجسد الاله والفداء الذى تم بواسطة هذا الاله المتجسد ولما ترسم المجمع الخلقيدونى خطاه فى أمر الفداء ، الامر الذى اضطر اليهود ان يعلقوا فى الشارع بيانا موجها الى الملك مرقيان البيزنطى جاء فيه « لقد كانوا هذه المدة كلها ، يعتبرون كأن آباءنا صلبوا الها وليس انسانا • اما الان وقد صرح المجمع الخلقيدوني بأنهم صلبوا انسانا لا الها : فنرجو ان ترد الينا مجامعنا »

ولو كان المائت انسانا بحتا لكنا بعد فى الخطيئة ، بل لما تمت الغايات التى من اجلها تجسد الانسان الكلمة • حقا ليس فى السماء ولا على الارض سر اعظم من سر الاله المتألم • والمخلص القادر على كل شيء مسمّر على الصليب • ولكن هذا ما يعلمنا اياه الكتاب المقدس ويعنيه عندما يتكلم عن يسوع المسيح المتألم على الصليب ، وبهذا يتناول حقائق سامية دعاها الرسول بولس « اعماق الله » ١ كو ٢ : ١٠ • لان هذه الامور عميقة جدا حتى اعجزت الفلسفة البشرية وهى اسمى من ان

ينالها العقل البشرى بالادراك • ومع اننا لا نستطيع ادراكها ، فأننا نستطيع – على الاقل – ان نخر على جباهنا بكل تواضع وشكر معترفين مؤمنين • هاتفين مع مار أسحق الانطاكى قائلين « ان فخر الكنيسة هو ان الله مات مصلوبا » •

ولنا فى ختام هذا الموضوع كلمة اخرى تتصل به اتصالا وثيقا وهى معنى قول الرسول « صار لعنة » هنالك فى الكتاب المقدس قولان جاءا متساويين لفظا ومختلفين معنى ، الاول فى قول يوحنا « الكلمة صار جسدا » والثانى : فى قول الرسول بولس « صار لعنة » وقدذهب بعض المفسرين واللاهوتيين مذاهب خاطئة فى فهم القول الثانى اى « صار لعنة» مفسرين اياها كتفسيرهم «الكلمة صار جسدا» •ان معنى «الكلمة صار جسدا » اى اتحد اللاهوت بالناسوت اتحادا أقنوميا طبيعيا كما مر معنا • فصار الاله انسانا حقا • وبعد ان صار الله انسانا حق للرسول بولس أن يقول «صار لعنة» لا «صار الكلمة لعنة» لان اللعنة تشير في قول الرسول الى أعماق آلام الصليب •

ان صيرورة « الكلمة جسدا » امر ممكن لا يضاد طبعه الالهي كما اسلفنا ، بيد ان صيرورة « الكلمة لعنة » أمر غير ممكن لانه يضاد طبعه الالهى الذى لا يقبل « اللعنة » اى آلام الصليب ولكن بعد أن « صار الكلمة جسدا » جاز للرسول ان يقول « صار لعنة » اذ اصبح له طبيعة بشرية تقبل الآلام والموت على الصليب •

ان السيد المسيح لم يصبح «لعنة» سبب ذنب اتاه ، أو جرم اقترفه ، او لخرقه ناموسا او شريعة بل صار لعنة من اجلنا ليخلصنا من الخطية والموت •

اللعنة فى عرف الناموس قصاص فرضه الله على من يجاوز الوصية ويجدف على واضعها ، والقصاصات التى فرضت على الجناة كانت كثيرة ومختلفة ، توافق انواع الجرائم والذنوب ، فبعضها كان رجما وبعضها حرقا وبعضها قطعا بالسيف •

غير ان اقسى قصاص كان الموت على الصليب ، ولم يكن صعبا وقاسيا فقط بل وذلا وعارا وهوانا ايضا • لقد أجاد شيشرون الخطيب الرومانى فى تعبيره عن نظرة العالم آنذاك الى الصليب ، وما فيها من الاشمئزاز اذ يقول « فليس المطلوب من الرعايا الرومانيين من أن يحملوا علامة الصليب على ذواتهم فحسب ، بل ومحو ذكره من لغتهم ، واستئصاله من مخيلاتهم وابعاد مشاهده عن اعينهم ايضا »•

حقا اننا لا نجد فى العالم كلمة تجمع بين الاشمئزاز والاستقباح والكره في نظر الناس آنذاك اكثر من كلمة الصليب ، انه كان يراد به الحط من كرامة المحكوم عليه ، وتجريده من كل شرف بين الناس ، مع احتقاره الى اقصى درجات المذلة والاهانة • اضف الى ذلك « اللعنة » التى حكم بها الكتاب المقدس بقوله « ملعون كل من علق على خشبة » وبهذا يمكننا ان نستوعب معنى « عار الصليب »

فعندما اراد السيد المسيح ان يبطل « اللعنة » التى حكم بها الناموس علينا ، لم يأخذ لعنة بل صار لعنة ، اى لم يأخذ الصليب بل صلب ذاته وتألم ومات حقا • لان الاخذ غير الصيرورة • لذلك لم يقل ان المسيح صار خطية بل « حمل خطايانا » اما انه « صار لعنة » فلانه تألم وصلب ومات حقا • قال اشعياء النبى « حقا انه حمل اوجاعنا » أما عن الخطية فيقول (كلنا ضللنا والرب اسلمه من اجل خطايانا)

الفصل الرابع

موت الاله المتجسد

كان موت السيد المسيح الاله المتجسد طبيعيا ، تم بانفصال النفس عن الجسد كما قال (يا ابتاه فى يديك استودع روحى) بينما لاهوته لم يفارق لحظة واحدة لا نفسه ولا جسده فكان مع النفس في الهاوية ، ومع الجسد على الصليب وفى القبر وذلك وفقا للاتحاد المحكم الدائمي الذى لا يعتريه انفكاك ولا انفصال بأى شكل من الاشكال وقد أيد الرب نفسه ان لاهوته لم يفارقه بقوله (تركونى وحدى ، ولكن لست وحدى لان الآب معى) يو ١٦:٣٢ كما ان الآيات التى شرحناها فى الفصل السابق كلها تؤيد هذه الحقيقة • قال مار اسحق الانطاكى (محروم من يفصل اللاهوت عن الناسوت ، واحدة هى طبيعة الابن الوحيد ، اقنوم واحد مركب بدون تغيير ، ومن لا يعترف هكذا فهو غير مفدى بدم الله) وقال مار يعقوب السروجي (ان الذى ارسله الآب هو ذاته ولد من العذراء ، وتألم وصلب على الخشبة ومات) ونضيف الى ذلك قول الرسول بولس ايضا (ان الله كان فى المسيح مصالحا العالم لنفسه) فالذبيحة لم تكن الانسان فى المسيح مراضيا الله ، بل الله فى المسيح مصالحا الانسان • اما الكلمة او الصرخة التى اطلقها من على الصليب وسجلها متى ومرقس (الهى الهى لماذا تركتنى) فلم تكن اقرارا بانفصال اللاهوت عن الناسوت — بل هي حقيقة لاهوتية كبرى

تضمنت معان عميقة جدا ـ لخصها اللاهوتيون الكبار بنقطتين اساسيتين هما اولا : لكى يثبت ان المتألم هو الاقنوم الثانى (الابن) وحده باعتباره الاله المتجسد • اما الاقنومان الآخران الاب والروح القدس فلم يذوقا الموت • ثانيا : بما انه ولد واعتمد وجاع واكل و شرب وتألم وصلب ومات • وكل ذلك كان من اجلنا نحن البشر كذلك كان بالنيابة عنا كل ما حدث له على الصليب ، اى انه عطش وتألم وصرخ (الهى الهي لماذا تركتنى) من اجلنا نحن الذين كان قد تركنا الله بسبب ذنوبنا • وكانت خطايانا قد صارت فاصلا بيننا وبينه قلنا أن موت المسيح كان من جهة طبيعيا كموت البشر تم بانفصال النفس عن الجسد ، ومن جهة اخرى مختلفا عن موت البشر بالامور التالية :

اولا : ان البشر عندما يموتون تنفصل انفسهم عن اجسادهم ، وتبقى الاجساد ميتة لا حس فيها ولا حراك • اما الاله المتجسد فلبث بموته حيا لا بحياة النفس ـ لا ن النفس انفصلت عنه ـ بل بحياة اللاهوت الذى لم يفارقه اذ كان حالا فى جميع اعضاء ذلك الجسد المائت يؤثر فيه ، كما كانت النفس تؤثر فيه قبلا • كان (ميتا وحيا) (ميتا) نظرا الى انفصال النفس عن الجسد (وحيا) نظرا الى اللاهوت الذى لم يفارقه قط والذى كان يمنحه ما كانت تمنحه النفس بصورة لا نستطيع ادراكها • وهذا ما عناه بقوله بلسان يوحنا الرائى « انا هو الاول والآخر الحى وكنت ميتا ، وها انا حى الى ابد « الآبدين » رؤ ١ : ١٧ •

ثانيا : ان الجسد البشرى بعد انفصال النفس عنه ينحل ويفسد فى القبر ، غير أن جسد المسيح لم يفسد اذ قام من القبر بعد ثلاثة ايام أتماما للنبوة القائلة « لم تدع نبيك اى يرى فسادا ولم تترك نفسى فى الهاوية »

ثالثا : البشر يموتون رغما عنهم اما السيد المسيح فقد مات بارادته كما قال « يا ابتاه فى يديك استودع روحى » وقال ايضا عن نفسه « لى سلطان ان آخذها ولى سلطان ان أضعها » وقد كان له المجد يتوقع هذه المأساة العظمى منذ انشاء العالم كما صرح بطرس الرسول « ان يسوع أخذ مسلما بمشورة الله المحتومة وعلمه السابق » ا ع ٢: ٢٣ • لذا لم يكن يخاف الموت او يخشى الردى لانه انما جاء ليتألم ويصلب ويموت كقوله « لهذا ولدت » يو ٨ : ٣٧ •

(انتهى)

الفهرست